المقتطف

الجزء الثالث من المجلد الخامس بعد المائة

١ أغسطس سنة ١٩٤٤ — ١٢ شعبان سنة ١٣٦٣

العقل مناط الامل

قلّب النظر في شؤون الأمم ومشكلاتها المحتملة غداة هذه الحرب الطاحنة ، كيف تشاء فلا مفر لك من الحكم بأن تحقيق الرجاء المعقود على إنشاء عالم تتوافر فيه أسباب الرخاء لجميع الناس ، وتتوطد أركان السلام في جميع أنحاء الأرض ، مرتبط بتحكيم العقل والخضوع لسلطان المعرفة . فالحريات الأربع التي نصبت هدفاً للاجتماع البشري ، مرتبط تحقيقها أوثق ارتباط ، بهذا التحكيم وذلك الخضوع : « وتعرفون الحق والحق يحرركم »

١ — العقل وموارد الطاقة

قد يقتتل الناس في سبيل النفط والفحم ، لأن الصناعة لا تستغني عن أحدهما الآن ، لتدير الآلات المتحركة في المصانع أو السيارات والطائرات والسفن المتحركة على الأرض أو في الهواء والماء . وقد يكون توزيع النفط والفحم في جوف الأرض توزيعاً لا تعادل فيه بين الأمم ، إن أخذنا بالحدود الجغرافية القائمة الآن ، ولكن العقل يتعين عليه ، أن ينشئ النظام الذي يتاح فيه لكل أمة ما يكفي حاجتها المشروعة . على أن العقل لا يقف عند هذا الحد ، بل هو يسعى ، من طريق الأداة التي اخترعها — أداة العلم — إلى بلوغ اليوم الذي تصبح فيه موارد الطاقة المحركة ميسورة للجميع كالهواء في جوّ الأرض أو كالخضرة على سطحها أو كالأشعة التي تملأ رحاب الكون .

فمن المحتمل أن تكون الطاقة المستخرجة من الذرّات أو من ضوء الشمس الأداة المرموقة لقلب أساليب العيش في المستقبل رأساً على عقب . فذا تمكن العلماء من إطلاق الطاقة الكامنة

في الذرات على وجه عملي ، أو إذا استطاعوا أن ينفذوا إلى سرّ الأوراق الخضر في التقاط طاقة الشمس وخزنها ، فقد يكون العصر المقبل عصراً تتوافر فيه الطاقة المحركة توافر الهواء الذي نتنفسه أو الماء الذي نبل ظمأنا بهِ .

فالناس يعتمدون الآن على النفط ومشتقاته ، أو على الطاقة المولّدة من الماء المنحدر . والمصدران الأولان من مصادر الطاقة — أي النفط والفحم — مآلهما إلى النفاد ، وإن اختلف العلماء في تقدير أمد الاعتماد عليهما قبل نفادهما . فاذا وفق باحث علميّ إلى كشف أسلوب عملي قليل النفقة يطلق بهِ الطاقة المذخورة في الذرَّة أو يتناول بهِ الطاقة من ضوء الشمس ، فالنتائج الصناعية والاقتصادية التي يسفر عنها كشف من هذا القبيل تكون في الطبقة الأولى من عظم الشأن في الاجتماع البشري .

والشمس هي في الأصل مصدر كل طاقة متاحة لنا . فالحرارة والطاقة الكهربية مردّهما جميعاً إلى الشمس ، سواء أمن الماء المنحدر تولّدت الطاقة ، أم من الفحم المحترق أم من النفط . وكل الطعام يصنع أصلاً في معمل الورق الأخضر ، فهو دون غيره من معامل الطبيعة والانسان يستطيع ان يلتقط طاقة الشمس بأسلوب هين ويستعملها في بناء المواد الغذائية الأساسية ، ثم يخزنها . ثم يأخذها الانسان والحيوان طعاماً . وما فتئت الشعوب تتزاحم بالمناكب وتتقاتل في سبيل « مكان في الشمس » على حد قول غليوم الثاني . والمكان في الشمس قد يعني الطعام الذي تولده الأوراق الخضر بفعل طاقة الشمس . وهذه الحرب الناشبة الآن مدار ناحية منها على الأقل على طاقة الشمس الجامدة في جزيئات النفط وأطباق الفحم .

إن موضوع طاقة الشمس موضوع واسع النطاق . ويقول الدكتور اسمن مدير معهد كترنغ الأمريكي ، لدراسة اليخضور (كلوروفيل) والتركيب الضوئي : إن سطح الأرض يتلقى كل سنة من طاقة الشمس ، قدراً يعدل الطاقة التي يولدها حرق ستمائة الف مليون مليون مليون (٦٠٠٫٠٠٠٠٠٠٫٠٠٠٠٠٠٫٠٠٠٠٠٠٫٠٠٠) طن من أجود أصناف الفحم (الانتراسيت) .

والنبات الأخضر هو أعظم أداة وأدق أداة لتحويل طاقة الشمس إلى أشياء تنفع الناس . وطريقته في هذا التحويل يطلق عليها وصف « التركيب الضوئي » . أما سرّها فلم يبح تماماً للعلماء حتى الآن . فالنفوذ إلى هذا السر في طليعة مشكلات العلم ، بل في طليعة مشكلات الحضارة . فعلى السياسة التي تبيح لأعمال الحرب ألوف الملايين من الجنيهات أن تبيح للباحثين في هذا الموضوع ما يكفيهم من المال للبحث ، فإذا وفقوا إلى حلّ المشكلة

كان ذلك خطوة كبيرة نحو تحقيق إحدى الحريات الأربع التي يريدها الناس أركاناً للعالم المرتجى ، وهي التحرر من العوز والفاقة .

ويرى الدكتور انمن أن هذه المشكلة تعالج من ناحيتين . أما الأولى فدراسة أسرار النمو في النبات ، وهذا يتيح للعلماء والزرّاع متعاونين ، زرع نبات يفوق مئات الأضعاف النبات الذي يزرع الآن في جميع أنحاء الأرض ، فيحوّل جانب كبير منهُ إلى مصادر تستخرج منها الطاقة بأساليب جديدة .

وأما الثانية فالبحث الكيميائي الأصيل في التفاعلات التي تمكن العلماء من تقليد الورق الأخضر ، أو مجاراته في تركيب الكربون (المنتزع من ثاني اكسيد الكربون) والايدروجين (من الماء) في مركبات تشبه المثلين (غاز المستنقعات) أو البنزين ، ثم إضافة الاكسجين إلى هذه المركبات للحصول على السكر والشحم والخشب ، ثم إضافة النتروجين للحصول على البروتين . ومن هذه المركبات الأساسية تصنع مركبات أخرى متعددة تعد جزيئاتها مخازن للطاقة .

ومتى حلّ العلماء مشكلة التركيب الضوئي وأنشأوا طريقتهم الخاصة لخزن طاقة الشمس المشعة ، فقد تكون هذه الطريقة مماثلة في أصولها لطريقة الأوراق الخضر ، وقد تكون أفعل منها وأكفأ .

فالناس بوجهٍ عام يعتمدون بغير اهتمام بالمستقبل ، على قدرتهم أن يتناولوا الطاقة من الفحم والنفط وما أشبه ، ولكن مثلهم في ذلك كمثل التاجر الذي ينفق رأس ماله أو يبعثره رويداً رويداً . ولذلك يذهب الدكتور انمن إلى أن البحث في هذا الموضوع ، ليس بحثاً نظريًا وحسب ، بل هو بحث نظري فتان وعملي خطير في آن . وإذا لم يتنبه أقطاب الحكومات والشعوب إلى هذا البحث حالا ، ويرصدوا المال الوافي للعلماء ، ليشرعوا في بحث واسع النطاق منذ الآن ، فقد يواجه البشر المشكلة ، وليس بين أيديهم الأدوات اللازمة أو المعرفة الكافية لحلها . وقد يصاب الناس من جراء ذلك بنقص في الطاقة المتاحة لهم إذا أهمل هذا البحث .

وغني عن البيان أن الذرّة تحتوي على طاقة كامنة فيها ، تتيح للناس إذا أطلقت بأسلوب عملي غير كبير النفقة ، مقادير من الطاقة المحركة لا حدود لها .

فقبل أربع سنوات أو خمس ، كان هذا الموضوع لا يستوقف عناية العلماء إلاّ من ناحيته النظرية . ولكن فلق ذرة الأورانيوم في أوائل سنة ١٩٣٩ ، فتح باباً جديداً في هذا الموضوع . لأن فلق ذرة الأورانيوم صحبه إطلاق قدر عظيم من الطاقة الذرية

الكامنة . فأقبل رجال علم الذرة ، في شتى أقطار الأرض على بحث هذه الناحية الجديدة في هذا الموضوع الخطير .

وأغلب الرأي — على ما استطعنا استخلاصه من المجلات العلمية التي وصلت إلينا — أنه إذا أتقنت طريقة إطلاق الطاقة من الأورانيوم إتقاناً عملياً تجارياً ، فانها لا تبيح لنا الا الطاقة المخزونة في قدر يسير جداً من ذرات الأرض ، وهي ذرات عنصر الأورانيوم . وإذن فالرجاء الأكبر معلق بكشف طريقة أخرى تمكن العلماء ورجال الصناعة بعدهم من إبادة الذرات أيةً كانت أو إفنائها . وهذا هو رأي الدكتور توف أحد علماء قسم المغنطيسية الأرضية بمعهد كرنيجي في واشنطن العاصمة . وهو في طليعة الباحثين في هذا الموضوع .

أما الدكتور كولدج مدير معامل البحث العلمي في الشركة الكهربية العامة فيرى أن البحث أفضى إلى طريقة تطلق من عنصر الاورانيوم قدراً عظيماً من الطاقة الذرية ، وأنه إذا أفضى البحث في المستقبل إلى فهم سر هذا الاطلاق فهماً دقيقاً فقد نستطيع أن نطلق من رطل واحد من الأورانيوم قدراً من الطاقة يفوق الطاقة المستخرجة من ملايين من أرطال الفحم . حتى إذا كانت نفقة إطلاق الطاقة من الأورانيوم أكبر من نفقة إطلاقها من الفحم ، كان ذلك خيراً لأنه يتيح مصدراً للطاقة حيث اعتبار خفة وزن الوقود له شأن عظيم . ومن المحتمل أن يفضي البحث الذري إلى وسيلة تطلق بها الطاقة الذرية من ذرات بعض العناصر المألوفة .

وسئل الدكتور لي ده فرست وهو من أعلام المخترعات اللاسلكية في ذلك فقال : «إن كشف الجهاز الرحوي والتوسع في بنائه واستعماله ، يسوغ الرجاء المعقود باحتمال اعتمادنا في المستقبل على الطاقة المنطلقة من الذرة من طريق تهشيمها فتتاح مقادير من الطاقة لا تحد» .

ومهما يبعد الزمن الذي تنفد فيه موارد النفط فالفحم فانها ماضية إلى النفاد لا ريب في ذلك . والبحث في هذا الموضوع ، كالبحث في موضوع طاقة الشمس وخزنها ، قليل قليل الآن بالقياس إلى الفائدة العامة التي تجنى من البحث لو حلت إحدى هاتين المشكلتين . فالحاجة إلى إرصاد مبالغ وافرة المال تتيح لعشرات بل مئات من الباحثين التوفر على هذه البحوث الفتانة الجليلة النفع .

٢ — العقل وموارد الصناعة

مهما تكن وجوه التحول السياسي والاجتماعي التي يحتمل أن تطرأ على حياة البشر فلا مفر من اطراد اعتمادهم في الحرب والسلم على الموارد المعدنية ، أو ما يحل محلها . ومهما تكن قواعد النظام العالمي الذي يكافح في سبيله عشرات الملايين من الرجال والنساء ،

فلن يصبح هذا النظام حقيقة واقعة إلاّ إذا كان ملائماً لخصائص الطبيعة البشرية ، وأوصاف الموارد المتاحة لهم في طبقات الأرض .

وقد دلّ البحث الدقيق المحكم في موارد القارات جميعاً على أن فيها موارد وافية من المعادن الأساسية ، أي أن الطبيعة تتيح فرصاً متساوية للناس أو تكاد تتساوى ، ولكن الناس اختلف شأنهم حتى الآن في اغتنام هذه الفرص واستغلالها . إلاّ أنّ الطبيعة لا تميل إلى انعزال كل قارة عن الأخرى واستكفائها . والقول بأن كل قارة تحوي في طبقات ثراها موارد معدنية وافية ، ليس صحيحاً على إطلاقه ، حتى إذا سلمنا بأن بعض المعادن يصلح للاستعمال محل بعض آخر — كاستعمال النفط المستقطر من الفحم بدلاً من النفط الطبيعي في قارة أوربة — وجدنا شذوذاً من القاعدة العامة . ففي معظم المناطق التي ارتقت فيها الصناعة وازدحمت منشآتها ، نجد قلة ظاهرة في موارد القصدير ، فلا يكاد يكون في ثرى القارة الأميركية الشمالية ركاز قصدير ، وفي قارة أوربة موارد قصدير يسيرة ، لا تجهز تلك القارة بأكثر من خمسة في المائة مما تستهلكه من هذا العنصر . وكذلك قل — على تفاوت — في النيكل والراديوم وغيرها .

فاستغلال موارد الأرض المعدنية المتاحة استغلالاً كاملاً يقتضي تنظيم حياة الأمم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، على أساس عالمي ، يضع العقل أركانه على أساس البحث العلمي . ويقول مايذر أستاذ علم طبقات الأرض في جامعة هارڤرد : إن اكتفاءَ كل قارّة وعزلتها أمر لا يقرّهُ علم طبقات الأرض . فليست هناك قارة ما ، تستطيع أن تجهّز الشعوب التي تقطنها بالمقادير الكافية من جميع المعادن اللازمة للحضارة ، وأن تكفي حاجات جميع الناس . فالاستغلال التام لموارد الأرض لا يتمّ إلاّ إذا ساهمت كلُّ قارّة بنصيب في سبيل الخير العام ، ولا مفرّ للعالم الجولوجي — على قول مايذر — من القول بأن تنظيم هذا الاستغلال على أساس عالمي أدنى إلى تحقيق الخير العام .

على أنّ العلم استهلّ في العهد الأخير فصلاً جديداً وكتب فيه آيات تبشر بتخفيف ضغط الحضارة الحديثة على موارد الأرض التي تنفد مهما تكن عظيمة ، وذلك باستحداث مواد كثيرة تحلُّ محلّ المعادن ، ولا تنفد . فموارد الطبيعة طائفتان بوجهٍ عام ، إحداهما طائفة المعادن التي تكوّنت في جوف الأرض في أحوال جولوجية خاصة عريقة في القدم ، وهذه المواد مصيرها إلى القلة والنفاد . والثانية طائفة المواد التي تتجدّد كلّ سنة ، لأن التراب والماء والهواء وضوء الشمس تتعاون على تجديدها ، فهي لن تنفد إلاّ إذا انصرف الناس عن الزراعة . والعلم الحديث أثبت أننا نستطيع ان نصنع من موارد الطبيعة التي تخرجها تربة الأرض طائفة كبيرة من

المواد التي كنا نعتمد فيها على المناجم والآبار . فمئات من العجائن الكيميائية تحل الآن محلّ عشرات من الفلزات في مئات من وجوه الاستعمال .

ولنضرب على ذلك مثلاً واحداً ، هو حبةٌ من فول الصويا ، الذي أصبح نفعه في نظر العلماء لا يقتصر على كونه طعاماً مغذياً ، بل صار عندهم مخزناً لا ينفد ما فيه من العناصر التي تصلحُ لاستخراج كثير من مواد الصناعة .

أقبلت شعوب الشرق الأقصى ، ولا سيما سكان الصين ومنشوريا ، من قرون على زراعة « فول الصويا » ، الذي أطلق لينيوس عليه اسمه العلمي غليسين هسبيد Glycine Hispide فغدت حبوبه مورداً لطعام سكان آسية الغربية في منزلة موارد الخبز واللحم والدهن جميعاً . أما في أوربة وأميركة ففضل الناس الحنطة والذرة والشعير ، في المقام الأول . وفي مستهل القرن التاسع عشر بدأ الأميركيون في الولايات المتحدة يزرعون فول الصويا ، ولكنهم لم يصنعوا منه طعاماً بل صنعوا منه علفاً للمواشي ، أو حرثوه في الأرض لتسميدها به . وقد بلغت المساحة المزروعة « فول الصويا » في الولايات المتحدة الأميركية بحسب الاحصاء الأخير أربعة عشر مليون فدان (ايكر) .

ولكن أصحاب العلم الجديد — علم « الكيمرجي » أي استخراج مواد للصناعة من منتجات الحقول — وجهوا النظر إلى أن حبوب هذا الفول كنز لا يفنى . ففيها طاقة يجهز بها من يأكلها ، وفيها مواد كثيرة تصلح لشتى الصناعات . وإذا كان الكيميائي الزراعي والصناعي في هذا العصر ، لا يحيط عمله كالكيميائي القديم ، بألوان السحر وضروب الخفاء ولا يحاول أن يحوّل المعادن السخيفة إلى معادن ثمينة ، فانه عند ما يستخرج حريراً من خشب الشجر ويصنع أبواباً وصوفاً من بروتين فول الصويا ، يصغر في جنب عمله ، عمل جميع الكيميائيين الأقدمين .

والنتائج التي يسفر عنها بحث الباحثين في هذا الميدان العلمي الجديد ، في فترة قصيرة لا تبدو سريعة ولا تستوقف النظر . ولكن إذا أحصي ما تحقق منها خلال السنوات العشر الأخيرة ، ثبت أنها خطوة عمرانية عظيمة الشأن لا تقوَّم بمال ، لأنها سبيل جديد إلى استعمال الموارد الطبيعية المتجددة سنة بعد سنة ، وإحلال منتجاتها محل بعض الموارد التي لا تتجدد إذا نفدت . فتأثيرها في العمران مزدوج ، فهي تتيح للناس ما لم يكن متاحاً لهم من قبل ، وهي تغني عن معادن آخذة في النفاد ، فتضعف من حدَّة التنافس الدولي على حيازتها .

والأصل في هذه النهضة العلمية الزراعية الصناعية في ما يتعلق بهذا الفول هو جزيء البروتين في حبة « فول الصويا » . وكل من طالع كتب التغذية يعلم أن البروتين مصدر من

أعظم مصادر الطاقة . ودقيق فول الصويا نصفه بروتين ، تؤيده مواد أخرى مثل الدهون والمعادن اللازمة والفيتامينات ، ومادة « الليسيثين » وهي لازمة للأعصاب وللأعضاء الحيوية . أما النشا فقليل فيه ، وهذا مستحسن لأن أكثر الناس يكثر من تناول النشاء في الخبز والرز والبطاطس وما أشبه .

وهذه العناصر مركبة تركيباً متزناً في حبة فول الصويا ، حتى ليصح أن توصف بأنها غذاء طبيعي قائم بذاته . وقد استعملت في المانيـة عنصراً أصيلاً في جراية الجنود . وفي سنة ١٩٣٨ أصدرت القيادة الألمانية العليا كتاب طهي للجيش يحتوي على مائتين واثنتين وستين وصفة لطهي فول الصويا . ووزارة الزراعة الأمريكية أصدرت كتيباً من هذا القبيل ، ومما جاء فيه أن إضافة دقيق فول الصويا الى دقيق الحنطة ، يزيد مقـدار البروتين ويقلل مقدار النشا ، ويجعل العجين أصلح للخبز ، وأطيب طعماً . ومكتب الكيمياء بوزارة الزراعة الأمريكية قال في نشرة : إن إضافة عشرين في المائة من دقيق فول الصويا إلى دقيق الحنطة تزيد مقدار الجير في الخبز ويجعل البروتين أيسر هضماً . ويحتفظ الخبز بطراوته يوماً كاملاً أكثر مما يحتفظ بها خبز الحنطة . ويصلح دقيق فول الصويا لجميع أصناف الكعك والرقاق وعلى وجه خاص لصنع خبز حسن النكهة للمصابين بالديابيطس (البول السكري) .

وإذا كانت آسية الغربية قد غذَّت شعوبها بفول الصويا ألوفاً من السنين — وقد وصفت الكتابات الصينية هذا الفول منذ ثلاثة آلاف سنة قبل التاريخ الميلادي — فان الشعوب الصناعية أخذت تغذي « مكناتها » بهذه الحبوب . فالألمان يحاولون استخراج زيت (دهن) منه يحلّ محلّ النفط في محركات ديزل . والروس كشفوا أسلوباً لاستخراج بروتين الفول لاستعماله في كل ما يستعمل فيه البروتين . ومادة الليسيثين تصلح للمزج بأصناف البنزين الجـديدة . و « فورد » يصنع منه هياكل شبابيك ، ومقابض أبواب وأجزاء كثيرة من أجزاء السيـارات ، كما صنعوا منه صنوفاً تصلح لحشو الوسائد والمقاعد ، ونسج الملاءات والأقمشة ، ودهاناً يدهن به الخشب والحـديد (كالورنيش) . وهنـاك فريق من العلمـاء معنيّ الآن بكشف أساليب لتحويل جزيئات البروتين المستخرجة من فول الصويا إلى مطاط وقد صنع منه مطاط أطلق عليه اسم « نوربول » Norepole

***

وهذا التطوُّر العلمي لا يزال في مستهله ، فإذا قال رجال السياسـة « الرخاء » و « التحرُّر من العوز » قال رجال العلم « لبيكم ، بين أيديكم » ، ولو كان مستقبل العالم مرتبطاً بالموارد المتاحة له وحسب ، لما كان هناك شكٌّ في كونه مستقبلاً باهراً مفاتيحهُ في أيدي العلماء

هل الشام الى السفور ؟

كنت في رأس تلك السوق الغاصّة بالألطاف ، سوق الحميدية ، أنقّل الطرف بين قاشاني ورديّ ولازورديّ من صنع أهل دمشق للمئة السادسة عشرة ، ونارجيلة من البلّور البوهيمي المطوّس والمزوّق ، وطنفسة إذا بُثّت حسبتها روضة جاءت تؤنسك ، وديباج فارسي نعّمته الأنامل الرقائق على تعاقب السنين الرخيّة . كنت في حانوتٍ حلف صاحبها لا أنقلب إلى مصر إلاّ شاكيَ الجيب .

وإذا أصوات تصيح : « سكّر . سكّر »(١) .

خفّ الفراش إلى الباب وغلّقه . فصعدت إلى الطبقة الثانية من الحانوت وجعلت أتبصر من تفاريج مشربية تركية طغى نافرُها على غائرها . تبصرت فإذا لمة من الخلق في أيديهم عصيّ وحجارة وفي وجوههم غضب يئز و . . . أهل حيّ الميدان والشاغور نزلوا إلى الأسواق يثيرون الرهج .

العصي تطوّح والحجارة تلقى . . . والزجاج أمسى أغلى من الألطاف وأندر . فـ « سكّر . سكّر » .

دفقت اللمّة نحو الجامع الأموي والحناجر تقذف بصيحات عاتبتُ أذني على سماعها . . . « يحيا الحجاب والانتداب » . . . ما هذه الصيحة ؟ قاتل الله السجع العربي إن كان ماله نحو هذا . الحمد لله انها صيحة فرد .

الحجاب ! حجاب المرأة الشامية ، ذلك كان مثار الفتنة . سالت وانتشرت فدام اختلاجها نحو أسبوع . وما أظن القارئ إلاّ توارَدت إليهِ أنباؤها وقد ابتدأت في العشرين من أيّار (مايو) سنة ١٩٤٤ ومن أنبائها الجسام أن تلك اللمّة — وقد أذكاها المتشددون — هاجموا في الصباح داراً للسينما كان العرض فيها للنساء خاصة . ولكن الشرطة ردّت هؤلاء الغلاة وأطلقت فيهم الرصاص فقتل رجل وفتى .

---

(١) « أغلق » في لغة الشام . والكلمة سريانية .

نساء محجبات في حي باب السلام بدمشق

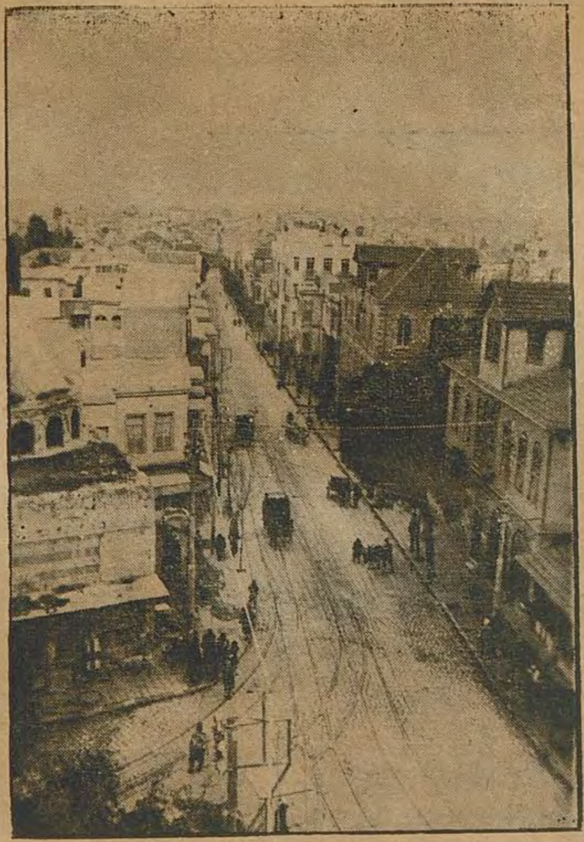

حي الصالحية

قروية تسير في حي الميدان

مقتطف أغسطس ١٩٤٤ ، ص ٢٠٥

Orientalisches Seminar Freiburg i. Br.

ليست الحوادث ما يعنيني ههنا ، فإن همي العرض والبحث من الناحية الاجتماعية . حتى الجانب السياسي لن أتمهل عنده . فقد بسط هذا الجانب وأظهر دفائنه رئيس وزراء سورية في الخطبة التي خطبها بين أيدي النواب في الرابع والعشرين من مايو ، وقد نشرتها صحف الشام . ومما جاء فيها نصًّا : « ان هنالك فئة من الناس يشجعون في الخفاء ومن وراء ستار أولئك الذين قاموا بهذا العمل . فهؤلاء المتصيدون في الماء العكر شهد الله ليسوا من أهل الإيمان وأصحاب العقائد ولا من أصحاب الفهم بل هم دائماً أهل نقمة ولؤم وبغض لكل ما يقال له استقلال لأنهم نشأوا تحت ظلال العبودية » . (١)

***

مدار الصراع إذن مسألة الحجاب سواء كان السخط على السفور حقًّا أو مجتلباً أو مستثمراً . إن الباعث الظاهر هو ذلك السخط ، والصراع الملموس هو ذلك الذي يقوم بين التحرر والتقييد والترخص والتشدد . فلننظر في حال المتصارعين : النساء من جهة ، ومن جهة المتشددون . ثم لنتبين موقف الأمة والحكومة القائمة ، فقد يكون في هذا العرض وهذا البحث مادة لا يشوبها هوًى تُمِدُّ من يخطر له اليوم أو في الغد أن يتتبع جريان الحركة النسوية في الشام .

***

في دمشق جمعيتان للنساء تسعيان لترقية المرأة . الأولى جمعية « يقظة المرأة » ورئيستها الآنسة سعاد مردم بك ، والثانية « جمعية دوحة الأدب » ورئيستها السيدة عادلة خانم بيْهم وهي زوج الأمير مختار الجزائري . وللجمعيتين كاتمة سر واحدة هي ابنة الشيخ عبد القادر المغربي (٢) . ومن أغراض الجمعيتين مواساة الفقراء والمساكين . وللجمعية الثانية مدرستان إحداهما لتعليم البنات والأخرى لتلقين فن الحضانة . وقد « احتجَّت » (كما يُقال اليوم) هاتان الجمعيتان على غضبة المتشددين ، إذ رأتا أن المرأة على أيديهم موضع ذلة ، وقد أكد لي أبٌ لإحدى الداخلات في هاتين الجمعيتين « أن المرأة الشامية فوق استنكار المتصلبين » . ومما لا بدَّ من ذكره أن نساء الجمعيتين لا يعالجنَ قضية السفور ، ولا يخضنَ في أسبابها ، وفيهنَّ المحجوبات والسافرات ، وفيهنَّ مسيحيات أيضاً .

---

(١) صحيفة القبس ، العدد الـ ٢٦٧٨ ٢٤ / ٥ / ١٩٤٤

(٢) وهنالك جمعية ثالثة أخرى اسمها « جمعية الاتحاد النسائي » وعهدها جديد وغايتها لم تظهر لي بعد

والحق أن الحجاب في مدن الشام كلها له سَيَرانه وله سلطانه ، وكأني به أمر له قدسية : تستتر المدنية وجهها بنقابين اثنين في الشام وحلب وحماة وحمص . وفي حمص رأيت بعيني السنة الماضية عجائز المسيحيات والبراقع لا تزال على وجوههنَّ . وليس حال الحجاب كذلك في القرى ، فنساؤها سوافر حتى إذا جَلَسْنَ في المدن . وفي حسباني أن المسلمات العاصيات حكم الحجاب في دمشق لا يتجاوزنَ المئة ، وهنَّ معروفات ، مرموقات ، جلهنَّ من علية الناس ، وفيهنَّ زوجات وزراء لهذا العهد . ويبدو لي أن الدمشقيات المثقفات آخذات منذ سنتين في العصيان ، فهنَّ يسفرنَ إذا اغتربن . وفي اللواتي يقمنَ بالحيين الحديثين : الصالحية والمهاجرين من أصبحت تعتاض عن النقاب الخمارَ تشدّه من الرأس حتى العنق مستديراً على نحوٍ عرفناه في مصر من زمن قريب . وفيهنَّ من ذهبت أبعد من ذلك فجعلت الخمار يتدلى على الكتفين ، فلا الشعر كله ولا الأذنان ولا العنق مستورة ، شأنَ كثير من المسيحيات في باب توما : حي النصارى . غير أن هذه وتلك ترسلان النقاب — أو النقابين — إذا انحدرتا إلى قلب المدينة ، إلى السوق ، إلى أحياء مثل الميدان والشاغور وقبر عاتكة حيث النساء يفرطنَ في التنقب والادناء من الحبرات الواسعة والادلاء . أين الرقة في برقع فتاة القاهرة أو الإسكندرية ، وأين « عروستها » ثم أين انضمام ملاءتها ؟

ومن طلائع ذلك العصيان أيضاً إقبال بعضهنَّ على التبرج والتجمل ، فقد تلمح تحت النقاب الواحد أصباغاً شتى ، ثم تلحظ لفة الساقين حتى منشأ الركبتين ، وقد يبدو هذا غريباً والوجه مستَّر . . . يا لمتناقضات النساء ! . . . ومن الطلائع كذلك أن النساء يحتذينَ الحذاء المفلّج ذا الكعب القائم الطويل ويؤثرنَ النعل المصنوعة من « الفلين » . كل ذلك إثم عند المتشددين . ودونك واقعة تدل على النضال الخفي قبل أن يستفحل الأمر فيقع في أمواج الفتنة :

حدَّثني من أثق به أن ربة بيت من بيوتات حي الشّاغور — وهو حي محافظ على التقاليد كما قدمت لك — دعت سرباً من السيدات ، فجاء اللواتي يقمنَ بالصالحية والمهاجرين سافرات ، قد ضربنَ الخُمر على رؤوسهنَّ وجعلنَ في أرجلهنَّ الأحذية والنعال المنكرة . فلما انصرفنَ أتى أهل الحي صاحبَ الدار ونصحوا له بالكف عن مثل هذه الدعوة ثم أنذروه وأوعدوه .

***

وسبب استفحال الأمر أن المتشددين بلغهم أن حفلة قومية ستجري في نادي الضباط الفرنسيين لأجل إعانة الأطفال الفقراء ، وأن المسلمات مساهماتٌ فيها . فألقيت خطب في

الجوامع ولاسيما جامع تنكز[1] . وجامع تنكز مقر « الجمعية الغراء » التي عملت مع الحكومة الوطنية فرشحت نائب رئيسها للنيابة في المجلس ، وفي هذا الجامع خطب رئيس الجمهورية أيام الانتخابات في السنة الماضية . فللجامع خطره ، وللجمعية قوتها .

أبت الجمعية أن تنتهي والحكومة تبين لها سلامة الأمر وتتحرى لها وجوه النصح وتبصرها عواقب الفتنة ، على حسب ما جاء في خطبة رئيس الوزراء .

ثار المتشددون ، وقبل ذلك بقليل ثاروا على « جمعية المواساة » في حلب يزعمون أن نساءها يعملنَ لأجل السفور لا لأجل الخير . ثاروا في حلب ثم في دمشق ، وكيف لا يثورون وهم الذين نهضوا يدعون النساء سنة ١٩٣٠ و ١٩٣١ إلى ترك الزينة تركاً ولبس الملاءة البيضاء فهي أقرب إلى التقوى وأدل على الزهد وليت المرأة تُلف بها اللفة الأخيرة ، في ذلك الثواب . ثم هم الذين أسقطوا حكومة « الكتلة الوطنية » سنة ١٩٣٩ غضباً على مشروع قانون « الطوائف » الذي قدمهُ السيد جميل مردم بك . ثم هم الذين أجمعوا الرأي على مناوأة الشهبندر رحمه الله لاعتقادهم أنه من أنصار التجدد .

ثار المتشددون فطالبوا بإقامة الحجاب من غير تسمح ولا تهوين ، وبالغاء المدارس التجهيزية للبنات ، وبمنع النساء من حضور الحفلات على اختلافها ، وبغير ذلك مما أمضي عنه . ومما حدث أيام الرهج أن حبراً أسود أو أحمر ألقي على سيدات في الطريق ، وقديماً ألقي عليهنَّ « ماء النار » أو « ماء الفضة » ... اللهَ في قوارير دمشق !

***

وقفت الحكومة في وجه المتشددين وقفة صلبة ، فرئيس الجمهورية شكري بك القوتلي ورئيس الوزراء سعدالله بك الجابري ووزير الداخلية لطفي بك الحفار وسائر الوزراء أجمعوا الرأي على قمع الفتنة وعقدوا النية على العنف بمن أثارها ، ولم يكترثوا لهول الحجاب ولا لسلطانه فصرَّحوا بأن « هذه الحوادث جاءَت نتيجة لهذه الحرية التي ظن بعض الجهلة أنهُ يستطيع بواسطتها أن يحصل على الحد من حرية بعض الناس ... » وأنهم « لا يستطيعون أن يفرضوا على الزوج إرادتهم بضرورة دعوته لعمل هو أولى به وقد أمره الشرع به ... » وأنهم « لا يمكنهم أن يدخلوا بيوت الناس ويفتشوا عما يجري فيها ، فالأصل براءة الذمة . » وأنهم « عند ظهور نتيجة الحوادث وظهور المسؤولين عما حدث سينظرون في أمرهم وقد

(١) أنشأه ملك الامراء تنكز ، وتكامل بناؤه سنة ٧١٨ . راجع « ثمار المقاصد في ذكر المساجد» ليوسف بن عبد الهادي ص ٢٠٢ . نشره محمد أسعد طلس ، بيروت ١٩٤٣ .

اتخذوا تدابيرهم في كل مدينة وفي كل مكان لقمع كل حركة يمكن أن تصطبغ بصبغة من هذه الأنواع ، إما بالتعدي على الحريات أو بالطعن في الأديان ... ومع الأسف تحت اسم الدعوة والتبشير لإقامة أسس الفضيلة والدين والأخلاق أصبحت القضية قضية تحكم . إنه إذا لم يعيَّن من يريدون أو لم يعيَّن إمام أو مدرس أو ينقل موظف أو يزد راتب تستغل هذه الأمور للشغب وفرض الأمر بالطلب وهذا ما لا يستطاع تحمله والقبول به »(1) .

وصفوة هذا الكلام القويّ أن الحكومة الوطنية القائمة اليوم في الشام لا ترضى عن أمرين : الأول الحد من حرية الفرد ، فللفرد — من جهة الدستور — أن يرفض الحجاب . والثاني استثمار الدعوة الى إقامة الدين وبث مكارم الأخلاق في سبيل المنازعة والمجاذبة .

***

وأما أهل دمشق — ما عدا المتصلبين — فلا أظنني أغالي إذا قلت إنهم ارتاحوا إلى موقف الحكومة ، سواء كانوا من المناصرين لها أو المعارضين ، وفيهم من يسأل المضيّ في الحزم والشدة ، من ذلك ما كتبه الأستاذ نصوح بابيل في صحيفته « الأيام » (٢٦ / ٥ / ٤٤) قال : « إننا لا نحرص إلاّ على مكافحة الشر والاجرام . وليس للدين ولما يأمر به الدين علاقة ما في هذه الدعوة ، والله وحده أعلم بمن هم أصحاب الدين حقاً ، وبمن يتخذونه وسيلة للاستثمار والاستغلال ، وستاراً يخفي وراءه شتى المآرب والغايات . نحن أمام حوادث وقعت وأرواح زهقت ومأساة مثلت ، فهل نكتفي منها بالانتقام من قبضة أفرادها في يد البوليس ؟ الحق يأمر أولاً بمحاكمة الدافعين والمدبرين » .

وقد وزع أصحاب الأذهان المستنيرة نشرات متعددة أعلنوا فيها استنكارهم للفتنة . ومن الجمعيات التي تضم هؤلاء المستنيرين : الحزب الشيوعي وهيئة التعليم الثانوي والابتدائي وجمعية الشبان المسلمين .

وأحب أن أنقل من هذه النشرات ما يتصل بقضية الحجاب ، إذ عليها مدار هذا المقال : جاء في « نداء طلاب الجامعة السورية » : « أثيرت في دمشق حركة سيئة أدّت إلى خلق جو خانق من الرجعية والخيانة تحت ستار الدين . وإن الشباب العربي المثقف الذي تعنيه هذه الظاهرة المصطنعة والمخجلة والتي تلطخ خلق الأمة وثقافة أبنائها وتقف في طريق نهضتها التحريرية وتطورها الطبيعي اللذين ينشدهما، يرى واجباً عليه أن يعلن استياءه

---

(1) من خطبة رئيس الوزراء .

واستنكاره . ومما يؤلمنا أن يتصدَّر هذه الأعمال رجال مغرضون ومن بينهم نائب أسندت اليه أمانة الأمة ليعمل على خدمة قضيتها لا ليمثل رجعيتها » .

وثمة « بيان جمعية خريجي المعاهد العلمية العالية في دمشق » وهي جمعية تضم نخبة من أهل التحصيل وأرباب الاجتهاد ، فيهم الأستاذ والطبيب والمهندس وغير ذلك ، وقد اجتمعتُ بفريق منهم ، بعد انكشاف الغمة عن دمشق ، وعلى رأسهم نائب رئيس الجمعية الدكتور زكي الجابي . فما جاء في بيانهم :

« إن جمعية خريجي المعاهد العلمية العالية ترى في الحوادث الأخيرة مظاهر مؤسفة لقضايا اجتماعية خطيرة ، تتصل بصميم حياة الفرد والأسرة والمجتمع ، وهي قضايا لم يكن لها في الماضي نصيب من التوجيه العلمي الصحيح ظنًّا من الكثيرين أن الزمن والتطور وحدهما كفيلان بايجاد حل لها فكان أن زادها الزمن والتطور تأزماً . وإن الجمعية إذ تبتهج لما دلَّ عليه قرار المجلس النيابي من روح دستورية شريفة تعتقد أن هذه القضايا جديرة بالعناية . وتأتي قضية المرأة في رأسها : ويتضح حينئذٍ لكل ذي حسٍّ سليم أن الواجب الأول نحو المرأة هو أن تتهيأ لديها المناعة الخلقيةَ القوية لكي تجابه ما تلاقيه وستلاقيه في الحاضر والمستقبل من تطور في وسائل العيش والتقدم المادي وشروط المجتمع وأحداث يفرضها الزمان فرضاً ، وإنما تتهيأ هذه المناعة الخلقية بطرق التربية والتهذيب والتثقيف في المنزل والمدرسة والمجتمع .

« إن الجمعية تعتقد أنه لا يصح أن يتكلم باسم الدين الحنيف من يشاء ويتشرَّف بزيه من يشاء ، ويدعو تحت ستاره إلى ما يشاء ، وأنه لا بدَّ من ضمانات خلقية وعلمية تفرضها وترعاها ، بالاتفاق مع أولي الامر . »

***

ذلك عرض مجمل لما جرى في دمشق قيَّدتُ فيه نواحي الجذب والدفع في قضية الحجاب . وهي قضية تشغل الشام اليوم وستشغلها زمناً لعلهُ لا يطول ثم تنحل عقدتها ، شأنها في بلاد أخر . فبالموازنة يستطيع القارئ المتأمل أن يدرك مغزى ما جرى في دمشق فيرتقب اليوم الذي تتفق فيه الأفهام على أن تخلي بين المرء وما يختار لنفسه ، وتتواطأ الهمم ولاسيما همم النساء أنفسهنَّ على رفع العوائق .

بشر فارس .

اصلاح التربية

في المدارس المصرية

قرأت تقرير حضرة صاحب المعالي أحمد نجيب الهلالي باشا وزير المعارف العمومية المصرية في التعليم في مصر قراءة مقدّر له مُغْرم بموضوعه فاذا به يصوّر نقائص التعليم في إنجلترة والولايات المتحدة وما يقابلها من نقائص التعليم في مصر تصوير خبير عليم.

ولاشكّ أن المراد بالتعليم في هذا التقرير إنما هو التربية فهو في : إصلاح التربية في مصر . وبعبارة أدق : إصلاح التربية في المدارس المصرية . لأنهُ إنما بيّن عيوب التربية في المدارس وحدها ، وبيّنها فيها بأوسع معانيها وهي الجسديّة والنفسيّة والعقليّة لا عيوب التعليم وحدَه .

وهذا التقرير جديرٌ كل الجدارة بأن يتصدى لدراسته ونقده المربون والعلماء والأدباء والساسة وكل قادر على الدراسة والنقد ، وأن توليه الصحف والمجلات على اختلاف ألوانها وأقدارها أكبر نصيب من عنايتها، لأنه يدعو إلى نقض بناء قديم متداعٍ منهار وإلى بناء صرح حديث متين ، وما هذا البناء الذي يستحق كل هذه العناية ؟ إنهُ المدرسة وكفى . لأنّ المدرسة مهد الحضارة ومصدر الحياة ومنبع كل قوة وعزّة للأمة .

وإذا لم يشأ حضرة صاحب المعالي واضعه أن يستثير الرأي العام المصري على نظم التربية المدرسية القائمة وأن يستنهض الهمم لدراستها ونقدها قبل أن يضع تقريره ويقدمه للمجلسين كما فعل وزير المعارف الإنجليزية قبل أن يضع الكتاب الأبيض ويقدمه للمجلسين فانه جعل التقرير مرناً قابلاً للتفاصيل الاصلاحية من كل لون فلا تزال أبواب القول فيه مفتحة .

وإذ كان ذلك كذلك وكانت وزارة المعارف جادةً الآن في وضع القوانين التي تنظم بها المدرسة على وفق ما جاءَ في هذا التقرير فإنّ من التفريط في حقوق الوطن أن يسكت القادرون عن دراسة هذا التقرير ونقده وألاّ تفسح الصحف والمجلات صدورها لكل كلام نافع في موضوعه .

ومن أجل ذلك أكتب هذا المقال لأعلى المدارس قدْراً وارفعها منزلةً وهي مجلة

المقتطف حاملة لواء العلوم والآداب والفنون في السبعين سنة الأخيرة في العالم العربي كله ، وبذلك أكون قد وضعت الأمانة التي في عنقي في عنقها هي ، وهي خيرُ من يؤدي الأمانة الى أهلها وهم قراؤها فأقول :

إن هذا التقرير الجديد بأكبر عناية مرآة صافية مجلوّة تتجلّى فيها مشكلات التربية في المدارس المصرية أوضح تجلٍّ ويزيدها وضوحاً موازنتها بنظائرها في إنجلترة وأميركة ويمكن حصر هذه المشكلات فيما يأتي :

(١) أرستقراطية التربية (٢) انفصام عرا المدارس المصرية (٣) اقتصارها على تعليم العلم وحده (٤) انقطاع الصلة بينها وبين عضديها وهما المنزل والمجتمع (٥) توقيتها بأعمار وأوقات قصيرة (٦) المدارس الأهلية (٧) المباني المدرسية (٨) الامتحانات (٩) المعلمون (١٠) مواد الدراسة *

وشرّ هذه المشكلات وأجمعها لكثير من النقائص هي أرستقراطية التربية أو اختصاص القادرين على بعض نفقاتها بخير وسائلها وهم الأقلية الصغرى وحرمان غير القادرين على بعض نفقاتها هذا الخير وهم الأكثرية الكبرى ، وقد عني هذا التقرير بهذه المشكلة أكبر عناية حتى كأنه ما وضع إلاَّ لأجلها .

وذلك لأن هذا الاختصاص جديرٌ أن يرتفع بالأقلية إلى أعلى ما تحب من درجات الرقي الجسدي والنفسي والعقلي ومن رغد العيش وترف الحياة ونعيمها ومن مناصب السيادة والجاه العريض ، وحرمان الأكثرية حقيقٌ أن يهبط بها إلى أسفل ما تكره من دركات الاضمحلال الجسدي والنفسي والعقلي ومن المعيشة الضنك ومن المذلة والعبودية . وذلك قمين بأن يجعل الأمة طبقتين سيدة ومسودة ويوسع ما بينهما من خلاف ويقضي على وحدة الأمة وتجانسها وتماسكها القضاء المبرم ويسارع بها إلى أسوأ مصير .

وليس لهذا البلاء المبين من سبب إلاَّ قدرة الأقلية على بعض النفقات وعجز الأكثرية عنها فالاختصاص بخير وسائل التربية قائم على القدرة المالية لا على قدر المواهب والملكات النفسية والعقلية التي تؤهل الطالب لاجتياز مراحل التربية حتى نهاياتها بِفَوَقَان ثم التصدر لخدمة الوطن عن جدارة واستحقاق كما يقول التقرير .

ولا علاج لذلك إلاَّ إلغاء النفقات المدرسية لا من المدارس الابتدائية والثانوية حسب كما ارتبطت حكومتا إنجلترة والولايات المتحدة وكما ارتبطت الحكومة المصرية بهذا التقرير الذي أقرّه المجلسان بل منهما ومن جميع مراحل التربية الأخرى كما فعلت دول أقل منا عدداً وثروة بل وحضارة .

غير أن هذا الالغاء في إنجلترة وأميركة سلاح هدّام سيقضي على أرستقراطية التربية فيهما قضاءً لا مردَّ له، ولكنه في مصر سلاح كهام لا يمكن أن يبلغ الحز ما دام للتربية الأولى في بلادنا نوعان من المدارس أحدهما رياض الاطفال فالمدارس الابتدائية وباب هذا النوع مفتوح على مصراعيه لمراحل التربية الأخرى، والآخر المدارس الأولية وبابه موصد كل الإيصاد دونها فلا منفذ منه اليها .

ولسنا نملك وسيلة لتوزيع الأطفال وهم أعظم كنوز ثروتنا على هذين النوعين توزيعاً عادلاً حكيماً على قدر المواهب والملكات والميول لا على قدر ما يملكون من مال، وهم منذ قبولهم في النوعين من هذه المرحلة حتى نهايتها في سن لا يصح فيها الحكم على مصيرهم فقد كاد المربون في الدول التي نقل عنها التقرير وفي مصر يجمعون على أن أكثر الأطفال إن لم يكن جميعهم لا يمكن أن تظهر جميع مواهبهم وميولهم للأعمال التي سيزاولونها في كبرهم ظهوراً واضحاً صادقاً يعتد به ويعتمد عليه قبل سن الثالثة عشرة وهي السن التي يقضونها كلها في المرحلة الأولى بنوعيها. فقد جاء في التقرير : ويلاحظ أن رجال التربية يرون — مستندين إلى تجاربهم الماضية — أن اختيار نوع التعليم والتوجه إلى مهنة خاصة لا يصح أن يكون في سن الحادية عشرة كما لا يصح أن يستند إلى امتحان يعقد في هذه السن لأنها سن مبكرة وقد أخذ الكتاب الأبيض بهذا الرأي وقرر أنه لا يصح بمقتضى امتحان في هذه السن المبكرة الحكم على مستقبل الصبية والمهن التي ينبغي أن يمارسوها في حياتهم فضلاً عن أن المواهب والاستعدادات الحقيقية لا تبرز في هذه السن المبكرة ولذلك رأوا أن يكون توزيع التلاميذ في سن الحادية عشرة على مختلف انواع التعليم الثانوي توزيعاً مبدئيـاً يعاد النظر فيه في سن الثالثة عشرة (ص ٢٤ س ٢١).

ولسنا نملك وسيلة لا حرج فيها ولا ضرر لوصل أحد هذين النوعين من هذه المدارس بالآخر وصلاً يسوّي بينهما وبين تلاميذهما في الوسـائل والنتائج وييسّر لذوي المواهب والملكات الصالحة الاستمرار في مراحل التربية حتى النهاية، ما دامت المدرسة الأوّليـة لا تؤهل للمدرسة الثانوية كالمدرسة الابتدائية . وما دام هذا الفارق بين المدرستين الأولية والابتدائية قائماً لا يمكن ان يرجى لديمقراطية التربية قيام . إنهما نقيضان لا يجتمعان . ولا علاج لذلك إلاَّ ما أقوله الآن وهو رأي لي قديم قلته في مؤتمر التعليم الأولي سـنة ١٩٢٥ وما كنت أقوله قبل ذلك وهو إما إلغاء رياض الأطفال والمدارس الابتدائية وجعل المدرسة الأولية هي مدرسة المرحلة الأولى الالزامية الموصلة للمدرسة الثانوية وإما إلغاء المدرسة الأوّلية وإبقاء رياض الأطفال والمدارس الابتدائيـة وجعلهما المرحلة الأولى

الالزامية الموصّلة للمدرسة الثانوية . فاذا لم يكن بدٌّ من بقاء المدرستين الأولية والابتدائية فلتكن إحداهما وهي الأوليّة مقدّمة لا بدّ منها لدخول الأخرى وهي المدرسة الابتدائية فتحل بذلك محل رياض الأطفال وتسمّى باسمها إن شئنا وتكون المدرستان مرحلة واحدة هي المرحلة الالزامية الموصّلة للمدرسة الثانوية . وفي كل حال من هؤلاء الأحوال الثلاث يُفرَض على جميع الأبناء الأغنياء والفقراء معاً اجتياز هذه المرحلة وتوجّه كل الجهود والعناية والمال لترقيتها وتعميمها حتى تتسع طولاً وعرضاً وعُمْقاً على وَفْق تعبير التقرير ويمكن مع ذلك أن يكون من مدارس المرحلة الأولى المذكورة في أي وضع من الأوضاع الثلاثة المذكورة ريفي وحضري ، فان ذلك لا يؤثر بأية حال في ديمقراطية التربية

فاذا لم نفعل شيئاً من ذلك وأبقينا المدرستين الأولية والابتدائية على ما هما عليه الآن من اختلاف في الوسائل والغايات كان من المستحيل أن تحقق العدالة الاجتماعية في أحق بيئاتها بها وهي المرحلة الأولى من التربية التي تعد من مراحل التربية الأخرى كالأساس من البناء .

أما العقبة الكبرى في سبيل هذه الأوضاع وهي اللغة الأجنبية في المدارس الابتدائية فهذه يجب وجوباً تربويّاً وقوميّاً إلغاؤها إلغاءً تامّاً لا رجعة فيه أبَدَ الآباد ، لأن اللغة أداة التثقيف والتهذيب ، والأطفال في هذه السنّ سنّ التربية الأولى حديثو عهد باللغة وبالمعارف والتداريب التي لا بدّ منها لتثقيفهم وتهذيبهم ، ولا نعتمد في انتشارها بينهم إلاّ على اللغة القومية ، هذه اللغة التي تملأ أسماعهم وأبصارهم وتملك مداركهم ومشاعرهم في بيئات التربية الثلاث المنزل والمدرسة والمجتمع ، ولا تدع لغيرها من اللغات سبيلاً إليهم إلاّ إذا وهَنَت هي ووهَنَ معها التثقيف والتهذيب القوميان . وأيّة أمّة من الأمم التي نريد أن نساير ركبها في الحضارة وفي مقدّمتها إنجلترة وأمريكة تعلّم أبناءها في مدارسها الابتدائية لغة أجنبيّة ؟ إنها إن فعلت ذلك كانت غير جديرة بأن تكون قدوة لنا وبأن نقلّدها فيما فعلت من مُنْكَرٍ بَيِّن .

ومن شرّ هذه المشكلات وأسوئها تأثيراً في حياتنا انفصام عُرا المدارس المصرية أو عدم اتّصال بعض مراحلها ببعض اتصالاً وثيقاً يُيَسِّر للطالب الانتقال من أيّة مرحلة إلى غيرها أرقى منها أو أصلح له منها لِمَا في هذا الانفصام من عُقْم محقّق بالقضاء على كثير من المواهب والملكات ومصالح الوطن ، فكثيراً ما ظهر على كثير ممن أتمّوا الدراسة في المدارس الأولية سلامة المدارك وسموّها والقدرة الفائقة المؤهلة لاجتياز مراحل التربية حتى نهاياتها العليا ، ولكنهم حُرِموا الاستمرار في معاهد التربية لتكميل أنفسهم ورفع شأنها

وحُرمت الأمة ثمرات أعظم غرس فيها لا لشيء إلاّ لهذا الفارق الذي قطع صلة مدارسهم الأولية بالمدارس الثانوية فما بعدَها وهو اللغة الأجنبية.

وكثيراً ما ظهر فيمن تربوا في مدارس المعلمين الأولية ما يؤهلهم لإتمام التربية في معقد آمالهم الأسمى وهو دار العلوم وتحرَّقت نفوسهم شوقاً إليها وحَفيت أقلامهم وأقدامهم في السَّعي لدخولها وهم يحرمون وتحرم الأمة ثمرات رقيهم النفسيّ والعقليّ. ولطالما ذابت نفوس المربين في المدارس الأولية للمعلمين والمدارس الأولية حسرات على النبوغ الذي قُبرَ فيهما لأنه لا يجد له منفذاً .

وفيمن يربَّوْن في مدارس التعليم الفني المتوسط الزراعي والصناعي والتجاري من إذا ذاقوا حلاوة الفن في هذه المدارس ومرنوا عليه وامتزجوا به فيها وتاقت نفوسهم إلى الاستزادة منهُ حتى نهايته وإلى الكمال والرقيّ في هذه الحياة وجدوا أبواب كليّاته ومدارسه العليا موصدة في وجوههم فتموت فيهم الهمم والآمال وتفقد الأمة بذلك ثروةً لا تقدَّر .

وفي معاهد الأزهر الشريف المختلفة طلاَّب يَتبيَّنُ لهم أنفسهم أنهم ليسوا أهلاً لما خلق لهُ الأزهر وهو مناصب الهداية والارشاد الدينية وتنصرف نفوسهم عن معاهدهم ولا يبقون فيها إلاَّ لأنهم لا يجدون سبيلاً إلى المدارس المدنية . وفي المدارس المدنية من تنمي فيهم العاطفة الدينية نماءً كبيراً ويتوقون إلى الانتقال إلى المعاهد الدينية فمناصب الهداية السامية ويزهدون فيما هم فيه ولكنهم لا يجدون إلى ما يبتغون سبيلاً

فهل من الخير والمصلحة للدين والدنيا معاً أن يبقى فريق من شباب الأمة في ناحية وقلوبهم وعقولهم في ناحية أخرى . أليس انفصام عرا المدارس المصرية من شر نقائص التربية ومصائبها؟ وهل في إنجلترة وأميركة أمثال هذا الانفصام وهذا التعسير على طلاَّب التثقف والتهذب ؟ وهل في الدنيا عقمٌ شرٌ من هذا العقم وخسائر أفدح من هذه الخسائر ؟

إني وإن لم أكن من أنصار مسايرة ركب الحضارة الغربية شبراً بشبر وذراعاً بذراع موافق على أن نساير هذا الركب فيما ورد في هذا التقرير من شؤون التربية، لأن المدرسة هي إحدى القوتين اللتين فاقتنا فيهما أوربة وأميركة كل الفوقان ، ويجب أن نلحقها فيهما . أما القوة الأخرى فهي المصنع وبخاصة المصنع الحربي . والمدرسة هي الأصل ، هي مصدر كل القوى بشرط ألاَّ نشذَّ عن مسايرة أوربة وأميركة فنستبقي بعض آثار الارستقراطية وبعض آثار الانفصام .

عبد الله أمين

ديوان منسوب الى المعري

لأسعد طلس

الديوان الذي ننشره هنا هو أحد الآثار المجهولة من أدب المعري[1] وهو رسالة لطيفة محفوظة بدار الكتب الظاهرية تحت رقم ٥٥٤٢ في ثماني عشرة ورقة (٢١ × ١٧ سنتيماً) مكتوبة بخط يرجع إلى القرن الحادي عشر. وقد اختلف العلماء في أمر هذا الديوان ، فالأستاذ سليم الجندي يرى في مقال نشره بمجلة المجمع العلمي العربي بدمشق عدد آذار (فبراير) ، نيسان (مارس) سنة ١٩٤٣ أنه لأبي العلاء لأسباب ذكرها . ويرى الأستاذ خليل بك مردم أنهُ لمتأخر حاكى في بعض الأبيات أسلوب أبي العلاء . ورأيي أن في الديوان ما يدعو الى الشك في النسبة إلى أبي العلاء ، وفيه ما يدعو إلى القطع بأنه من شعره .

أما ما يدعو إلى الشك فأمور ، منها : أن الديوان كله في الغزل كما سيرى القارئ وليس فيه إشارة إلى حلب ولا إلى ناحيـة من نواحيها ، كما يقول كاتب المقدمـة ، إلا في البيتين الآتيين . وهما قوله :

فُرات الحمى من لي بتبريدك الحشا ودونك سورٌ من قنا وسيوف

وقوله : قتيلاً إذا ناديتمـــوه أجابكم له شرق بالدمع إن ذكر الشرقا

فأنت ترى أنه يتشوّف في البيت الأول إلى مياه الفرات ، والفرات من انهار حلب كما أنه من أنهار العراق . وفي البيت الثاني يتشوّق إلى الشرق والشام شرق كما أن العراق شرق الشرق !!

ومنها أن في لغة الديوان — كما يرى الأستاذ الجندي — بعض الركاكة ، وإن كان يغلب على ظننا أن مصدر هذه الركاكة — أو أكثرها — راجع إلى الناسخ الذي شوّه الديوان تشويهاً ما بعده تشويه . وما نريد أن نضرب الأمثلة على ذلك فان في ذلك مضيعة للوقت .

ومنها ما في الديوان من استعارات وتشبيهات وزخارف يمجها الذوق ، ولم نتعوّد أن نجدها في الأسلوب العلائي ، كقوله :

---

(١) عكفت على دراسة أبي العلاء ، واعتمدت على مخطوطات في الخزائن ، من ذلك نبذة من « الأيك والغصون » وأخرى لم تنشر من « الفصول والغايات » وهـذا الديوان ، وقد وصلت الى نظرات جديدة ضمنتها كتاباً لطيفاً سميته : « نظرات جديدة في أدب المعري » وألحقت به ما لم ينشر بعد من أدب أبي العلاء . ثم بعثت بالكتاب الى الدكتور طه حسين بك بمناسبة إشرافه على إحياء آثار المعري .

رشأ صام علواً فادعت يثرب الحشا وأفطر سفلاً فادعت ردفه مصر

أما الأمور التي تدعو إلى القول بأنهُ من آثار أبي العلاء المعري فهي كثيرة :
منها أن من ينعم النظر في الديوان يرَ فيهِ شيئاً كثيراً مما كان أبو العلاء يأخذ نفسه به من لزوم ما لا يلزم ، وحسبك أول البيت وآخره وما الى ذلك من القيود. ومنها أن في لغة الديوان إغراباً كثيراً وأبو العلاء ممن كانوا يؤثرون الاغراب في شعرهم ونثرهم . ومنها أن الديوان مملوء بالمحسنات المعنوية أو اللفظية التي كان المعري يتعمدها في شعره . ومنها أن روح الزهد والنسك التي تظهر في ثنايا بعض القصائد كثيرة الشبه بنهج أبي العلاء في اللزوميات .
لهذه الأمور نميل إلى أنه غير بعيد أن يكون لأبي العلاء ، وها نحن أولاء ننشره ليرى القراء رأيهم فيه والسلام .

دمشق أسعد طلس

ديوان أبي العلاء المعري رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أودع في كل قلب ما أشغله ، الخالق الذي خلق الإنسان وبالعقل فضّلهُ ، وأوضح لذوي الأدب سبيل البلاغة فاتضح ما يجلو من وجوه المعاني عيون الملح ، وخصّ من شاءَ بالفضائل من العباد ، وقسمهم أقساماً فهذا مفيد وهذا مفاد ، وجعل هذا الإنسان قابلاً لكل مراد ، والصلاة والسلام على أشرف العباد، وعلى آله الغر الجياد .
وبعد فقد قال أبو العلاء المعري وكان ببغداد يتشوّق الى حلب ونواحيها ، ونظم هذا الديوان ، وبالله سبحانه التوفيق(١) .

حرف الهمزة

أما لك يا داء المحب دواء بلى عند بعض الناس منك شفاء
أسيرُ العدى بالمال يفديه أهله وما لأسير الغانيات فداء
أسود الشرى في الحرب تحمي نفوسها بنجدتها ما لم تعنَّ ظباء
إذا كنت خلواً فاعذر الصبَّ في الهوى فما المبتلى والمستريح سواء
أتأمرني بالصبر عمن أحبهُ وهيهات ما لي في هواه عزاء
أموت اشتياقاً ثم أحيي لشقوتي كذاك حياة العاشقين شقاء

(١) هذه المقدمة مع العنوان من قلم الناسخ في رأينا

إليك فلو ذقت الهوى لعذرتني ... جفونك وسنا والفؤاد هواء
ألا إن قلب الصبّ في يد غيره (١) ... يقلبهُ بالطوع كيف يشاء
أنا لمت أهل العشق قبلك في الهوى ... فها أنا أدري مثلهم وأساء
أصابت فؤادي أسهم اللحظ إذ رمت ... فلله قتلى الأعين الشهداء

حرف الباء

بكت رحمة للصب عين عدوه ... فما لحبيب القلب لا يرحم الصبّا
بخيلٌ بأن يحيي القتيل بلحظه ... وأن يرد الظمآن بارده العذبا
بعيدٌ على أن الديار قريبة ... فحتى متى بالبعد تمزج لي القربا
بنفسي حبيبٌ خانني فوفيته ... فزاد قلىً فازداد قلبي له حبّا
بذلت له الود المصون وأدمعي ... ولم يقتنع حتى وهبت له القلبا
بدا لي فقلت اردده قال ملكته ... ولو لم تهبهُ لي تملكته غصبا
بعينين هاروتيتين كأنما ... يجرّد نحوي منهما صارماً عضبا
براني هوى الظبي الغرير وقادني ... ذليلاً وكم راض الهوى جامحاً صعبا
بللت ردائي بالدموع وإنما ... يزاد بها الباكي على كربه كربا
بعثت رسولي بالخيال الذي سرى ... إليك بدمعي والنسيم الذي هبّا

حرف التاء

ترى قبّلتك الريح عني وبلغت ... من السر ما استودعتها حين هبت
تحية مشتاق يعض بنانه ... إلى قدم زلت ولم تتثبّت
تركت التي من أجلها جدّ بي السرى ... على أنني أحببتها وأحبّت
تعجبت إذ مدّ النوى لوداعها ... يداً كيف لم تشلل هناك وتبّت
تقول اصطبر كم ذا البكاء فقلت ما ... دموعي جرت بل أبحر الشوق عبت
تميمية ترقى الضجيع بريقها ... إذا عقرب منها على الصدغ دبت
تبيت على شمس الضحى فكأنها ... مع الحور في دار النعيم تربت
تهب رياح المسك من نفحاتها ... فما استنشقتها الريح إلاّ وهبت
تراءت لعيني في المنام فأطفأت ... بزورتها نار الهوى وهي شبت
تذكرتها حتى إذا ما تماثلت ... طربت كأني قد دعوت ولبّت

(١) على هامش الاصل : « في نسخة : حبه »

حرف الثاء

ثملت بذكراها وطبت كشارب لها بالمثاني وحده والمثالث
ثلاث سلبنَ القلب حسن عزائه وألبسنني ثوبي خليع وناكث
ثقالة ردفيها ورقة خصرها وسحر العيون القاتلات البواعث
ثقفت بعينيك الأسود كأنما هما سيف جبار مصلاً عائث (؟)
ثقي بي على ذا النأي إني لمقسم بعينيك لا أشكو ولست بحانث
ثبوتاً على عهدي الذي كان بيننا إذا غيّر الأحباب صرف الحوادث
ثنتني صروف الدهر عنك وما انثنى فؤادي فجسمي راحلٌ مثل لابث
ثمار المنى من يجنها دون إلفه يجد طيبات العيش مثل الخبائث
ثلمت ضوى صبري (؟) فأورثني الضنا فويح غرام للضنا فيك وارث
ثوائي على حر الغضا مذ فراقكم فهل من خيال عن غرامي باعث

حرف الجيم

جوًى تتلظى ناره في جوانحي فكيف ينام الليل حرّان منضج
جفاه الكرى والطيف مذ واصل البكا فحتى متى يبكي ولا يتفرّج
جرى القدر الجاري عليه بفرقةٍ فليس له من داخل الهمّ مخرج
جليدٌ على الكتمان لو لم تبُح به دموع على خديه بالدم تمزج
جعلت امحّي ما كتبت بعبرتي وكدت لسقمي في كتابي أدرج
جزى الله من أدّى رسالة عاشق وحسن أعذاراً من البين تسمج
جواباً لعل الكتب تطفئ لاعجاً على كبدٍ من ذكركم تتوهج
جميلاً فما فعل الجميل بضائع ولاسيما في الصب والصب أحوج
جنيت على نفسي الهوى فقتلتها وحبي بريء من دمي متحرج
جلاء همومي طيفكم يوضح الدجى وإلاّ فأنفاس الصبا تتأرّج

حرف الحاء

حسبت النوى تسلي فزدت بها هوى واغلقت باب الوصل من حيث يفتح
حرمت وصال الحب في طلب الغنا وأي غنى في وجهه كنت أربح
حباني بياقوت من الدر أحمر ودر فم منه سنا البرق يلمح

حبيب أحيّا منه بالبدر ناطقاً وأغبق خمراً من جناه وأصبح
حسان الدمى تصبو إلى حسن وجهه وصلد الصفا من لمس كفيه يرشح
حُسدْتُ عليه قاتل الله حاسدي فضنَّ به الدهر الذي كان يسمح
حمدت زماني فيــه ثم ذممته وما زال هذا الدهر يهجى ويُمدح
حديثٌ له في النفس لست أذيعه بتذكاره يؤذي الفؤاد ويجرح
حضرنا وإن غبنا جسوماً وخاطراً فنحن قريب والمنازل نزَّح
حيا عبرتي يحيي الثرى بعد موتها وأيسر منهُ الوابل المتبطح

حرف الخاء

خلعت عذاري في الملاح ولم أبل بما يستريح حاسد لي لاطخ
خليون يلحون الشجي على البكا وليس لأحكام الأحبة فاسخ
خدعتكم لما سلوت تجاهلاً وقلبي في علم الصبابة راسخ
خليلي إن النار في مشرقية لها فتكات المرد وهي مشايخ
خلا أن هذا الحب طلَّ به دمي وقومي جبال للملوك شوامخ
خضعت لمن أصبحت في الحب عبده على أن مجدي في الأعزَّة باذخ
خطوب الهوى حلت فكم هدمت عليَّ وكم شيبة من عاشق وهو شارخ
خبَت كل نار غير نار صبابتي ستبقى وإسرافيل في الصور نافخ
خذي أدمعي ياريح هدياً إلى الحمى لتسقيهم منها الغروب النواضخ
خواطر قلبي أخبرتني بأنهم على العهد لم ينسخ ودادي ناسخ

حرف الدال

ديارهم لا غيرتك يد البلى ولا زال يسقيك الحيا ويجود
دنوت من القلب العميد على النوى وكل له قلب عليك عميد
دعوناك مرضى لو شفيت مجيبة ألم تسمعينا نحن منك بعيد
ديون علينا يقتضيها غريمها فلا قضيت إلاَّ وأنت شهيد
دجى الليل صبح فيك إذا أنت مطلع لكل هلال أطلعته سعود
دهتك الليالي بالنوى فتفرَّقت جآذر كانت تلتقي وأسود
دوائر ذي الدنيا تدور بأهلها فتنقص حالات الفتى وتزيد

دراري سعد الفعل (؟) لما تجانحت فبيض الليالي في جفوني سود
دموعي لها من أربع وحشاشتي وفيها لبانات فأين تريد
دفعت اليها في الوداع وديعة وقلت احفظيها إنني سأعود

حرف الذال

ذكرت زمان الوصل فيها فليس لي عزاء ولا صبر ولا متلذذ
ذهبت وقد سدَّ الفراق مذاهبي وقلبي إلى نحو الأحبة مجبذ
ذهلت فما أدري إلى أين قادني قضاء على الانسان يجري فينفذ
ذممت حياتي كيف أحمدها وقد تركت من اللذات ما كنت آخذ
ذللت فطاماً بعد عزّ رضعته وعرَّضت نفسي حيث مالي منفذ
ذنوبي لعمري غرقتني فأوبقت وإلاَّ فاني قلَّب الدهر جهبذ
زمام الهوى يرعى فهلاَّ رعيته وكنت بقربي من نوى أتعوَّذ
ذويت وعودي بالرضاب اخضراره صديت وقلبي بالتواصل يشحذ
ذكاء وبدر التم يحتجبان من محاسن مَن قلبي عليه مجذذ
ذوائبه مسكٌ ثناياه لؤلؤ وخداه تبر والعذار زمرذ

حرف الراء

رشاً صام علواً فادعت يثرب الحشا وأفطر سفلاً فادعت ردفه مصر
ربيب مقاصير أبوه وأمه وإن كان أبهى منهما الشمس والبدر
رضيت به جوراً على حكم جوره وقلت لقلبي اصبر لعلَّ الهوى أجر
رأى ذلتي في العشق فاعتزَّ واعتدى على مهجة فيها له النهي والأمر
رفعت الى قاضي هواه ظلامتي فوقّع المظلوم موعدك الحشر
رحيمٌ لغيري والرخيم كلامه فما بالدماء (؟) ولا قلبه صخر
رعى الله من يهوى هواي وإنني على العهد باق لا سلو ولا غدر
ربى الوصل قبل اليوم كانت حوالياً بأوجه أحبابيٍ فعطلها الدهر
رياضاً سقى ماء الغمام شقيقها وجادت بلا غيث أقاصيها الخمر
رياحين ما حيّا الوصال بشمها قبيل الهوى حتى أتيح له الهجر

حرف الزاي

زخارف دنيانا الأنيقة أصبحت هشيماً كما رث الرداء المطرز
زمان الصبا لله درك لم تزل مواعيد من نهوى لنا فيك تنجز
زيارتنا في كل يوم وسرنا جهاراً بلا واشٍ يرانا فيغمز
زررنا على غير الفواحش قمصنا ولم نستجز إلا الذي هو أجوز
زنت أعين منا وعفت ضمائر فبتنا وأيدينا من اللمس تحجز
زرى وجه من نهوى على البدر إذ بدا وأعجزه حسناً وما كان يعجز
زيادة بدر التم كالنقص عنده فللبدر منه خجلة حين يبرز
زمام قلوب العاشقين بكفه يقاد كمغلول اليدين ويحفز
زبى الأسد أو أشراكها لحظاته وسيف الردى فيها فكيف تحرز
زعمتم بأن الحب فيه تذلل صدقتم وفيه الملاح تعزز

حرف السين

سلامٌ على الأحباب تفتقه الصبا كما فتق المسك الزكي التنفس
سقوا الغيث حتى يورق العيش عندهم ويختال في حليٍ وأثواب سندس
سواء عليَّ الليل والصبح بعدهم ولو كنت (؟) لانجلى كل حندس
سناهم سراجي والخدود شقائقي وتلك العيون البابليات نرجسي
سألت وميض البرق حمل رسالتي إلى ذي دلال مطمع لي مؤيس
سرى موهناً يحدو دموعي إلى الحمى ويحكي لعيني ثغر أشنب ألعس
سموت بطرفي نحو إبريز خده لأغنى فقال ارجع غنيًّا كمفلس
سعيداً شقيًّا بين نار وجنة من الصبر عرياناً من السقم ملبس (؟)
سباني بمخطوط من المسك أسود على صحن مسبوك من التبر أملس
سويداء قلبي للأحبة منزل وذكراهم في ظلمة الليل مؤنسي

حرف الشين

شفار الهوى قصت جناحي فلم أطر وقد يطمع المقصوص أن يتريشا
شققت جيوب الدمع في الربع إذ غدا ونادت ربع الأنس إذ بات موحشا

شهدنا لقد أرواك غيث عيوننا (١)
شربناه فازددنا هياماً وغلة وهل تطفئ العينان ما شبَّ في الحشـا
شفا الله أكباد المحبين من جوًى وكف لسان الدمع عنهم فما وشا
شقي بالهوى العشاق أو سعدوا به وماتوا ولو داواهم الوصل عيّشا
شغفت بمن يحكي الغزال إذا رنا ويحكي قضيب الخيزران إذا مشى
شويدن أنس صاد قلبي بلحظه وطاووس حسن في فؤادي عششا
شرعت لقلبي الصبر عن حسن وجهه فما هو إلاَّ أن رآه فأدهشـا
شديد القوى والصبر كنتُ فهدَّني كفى حزناً أن يصرع الأسد الرشا

حرف الصاد

صدقت وقد أودى الهوى بحشاشتي عشية زمت للرحيل قلاص
صدرت عن الماء الذي كنت وارداً وأقوت رسوم للصبا وعراص
صممت عن الحادي عميت عن البكا (٢) لبين ليس منه مناص
صروف الليالي فوّقت لي سهامها فهل لي من الصبر الجميل دلاص
صرمنَ حبال الوصل عن شمس كلةٍ عليها من الليل البهيم عقاص
صبوت إليها فاشترتني بلحظها رخيصاً كذاك العاشقون رخاص
صفا ودها لو لم يحل دون وصلها وشاة وحراس عليَّ حراصْ
صبوت وكلتـا مقلتيَّ سخية لإنسانها تجري الدموع مقاص (؟)
صحا كل قلب فاستراح من الهوى وليس لقلبي من هواه خلاص
صلوا في الهوى نقتص منكم جروحكم فقد قال ربي والجروح قصاص

حرف الضاد

ضنى كان أبداه الهوى فأعاره سواداً بدا في حمرة وبياض
ضواحك أزهار وأعين نرجس أشارت بألحاظ إليّ غضاض
ضحًى وجنا ورد يعود بنفسجاً إذا ما اشتهاه عاشق لعضاض
ضع السيف واقتل مهجتي بمحاجر مراض وإن تخبر فغير مراض

(١) لم نستطع قراءة هذا الشطر لسوء حال المخطوطة (٢) بياض بالاصل

ضربت بها في كل قلب أسرته فكم من قتيل وهو ليث غياض
ضلالة قلبي وهي عندي هداية تنزه طرفي والملاح رياضي
ضمنت لها أن لست أسلو عن الهوى وحكمته فليقض ما هو قاضي
ضننت بسلواني وجدت بمهجتي فهل أنت عن فعل المتيم راضي
ضلوعي على نار من الوجد تنحني ولكنني جلد القوى متغاضي
ضغائن في صدر الليالي على الفتى فمستقبل من خطبهنّ وماضي

حرف الطاء

طباعي أبت إلاَّ التذلل في الهوى فلا زال خدي للحبيب بساطا
طريف الهوى بين الحشا وتليده طويتهما طي التجار رياطا
طعمت الهوى في لحظهِ وشربته فلم أستطع نحو السلوّ نشاطا
طلبت سبيلاً للسلوّ فلم أجد (١)
طمعت بأن أسلو الهوى فغلبتني وقد ضربتني مقلتاك سياطا
طويت بطون العيس نحوك حجة وأوثقت خيلي في هواك رباطا
طعنت بلحظ من بعيد وهكذا قنا اللحظ يبلغنَ النجوم شطاطا
طربنا ومن ألحاظ عينيك سكرنا فأية خمرٍ منهما نتعاطى
طوال الليالي فيك أرعى نجومها إذا ما غشى النوم الجفون غطاطا
طمى بحر شوقي والتظى جاحم الهوى وهذا بقلبي ثم ذاك أحاطا

حرف الظاء

ظفرت بقربٍ منك حتى إذا صفت حياتي وأحظتني لديك حظوظ
ظعنت وقلبي في يديك وديعة فهل أنت للمستودعات حفوظ
ظلمت فؤادي كيف أزمعت دونه وأنت فؤادي إن ذا ليغيظ
ظمئت وما يشفي لي الماء غلة وأشقى كأني للزفير أقيظ
ظلال الهوى عادت حروراً (وأصبحت) سموم اشتياق كدت منه أفيظ
ظننت بأن الدهر يبقى مسالماً وهيهات حرب النائبات كظوظ
ظباء الهوى والهجر والعذل في الهوى وواشٍ وغيران عليَّ حفيظ
ظلامٌ على صبحٍ وغصنٌ على نقا هنالك يختال الهوى ويحوظ

---

(١) بياض بالاصل

ظراف لعمري العاشقون وإنما يلومهم قاسي الفؤاد غليظ
ظهرت على الحساد في الفضل إنني صميمٌ وكل الحاسدين وشيظ

حرف العين

عجبت من الأيام كيف تقلبت بنا فتفرّقنا كأن لم نجمع
عباديد شتى مثل ما أسر الأسى فرائد من دمع الفريد مفجع
على بينكم أعزز عليّ ببينكم لقد زاد حرقاً في الحشا المتقطع
عدوني وإن لم تنجزوا ربَّ موعد شفا علتي منكم وإن خاب مطمعي
عسى الطيف أن يزدارني فأبثه سرائر شوق للحبيب المودع
عهدت الهوى حلواً فلما شربته تجرَّعت منه غصة المتجرّع
عشيات أيام الحمى جادك الحيا لقد كنت ريحان المحبين فارجعي
عذارك مسك أذفر في أنوفنا فشوقاً إلى مشمومك المتو (١)
عميد الهوى يشفي به من سقامه فأهدي الينا نشره بالتمنع
عفا الله عن ذا الدهر إن ردَّ وصلها وشعّب منا كل قلب مصدّع

حرف الغين

غرقت ولا ماء سوى عبرة جرت وحق الأسى في باطل الصبر دامغ
غداة أجابت عيننا داعي النوى وودعني بدر من السجف بازغ
غضضت جفوني عن سناه مهابةً وفي القلب شيطان من الحب نازغ
غزال تحلى بالبهاء وبالسنا وناهيك من حلي له الله صائغ
غرير شممت منهُ فيه (؟) بسحرة فقلت له هل أنت للمسك ماضغ
غيور أبوه كيف لي بلقائه ومن دونه سمر القنا والسوابغ
غوى القلب فيه وهو لولاه راشد ومُلّيء وجداً وهو لولاه فارغ
غلبت عذولي حجة بجفونه وهل حجج العشاق إلاّ بوالغ
غريت أنا والعاذلون بحبه وفي مثله عذر المحبين سائغ
غزتني عيون أيدتها على دمي عقارب مسك للقلوب لوادغ

حرف الفاء

فنيت هوًى إلاَّ حشاشة مهجتي أجود بها في مربع ومصيف

(١) لم نستطع أن نتبين بقية كلمة القافية. ولعلها : المتضوع

فريداً من الأحباب أبكي طلولهم ... وأكثر فيها لو شفيت وقوفي
فيا أسفاهُ للمغاني كأنها ... سطور محاها الدهر غير حروف
فقدت شموساً كنت أجلو بها الدجى ... إلى أن أصابتها النوى بكسوف
فراق نعمنا بالتواصل قبله ... ولكنها الأيام ذات صروف
فنيت بمهضوم الحشا ناعم الصبا (١)
فتور بعينيه عليَّ أعانه ... فيا من رأى مستنصراً بضعيف
فداء لهُ نفسي على السخط والرضى ... وطوبى لنفسي إن بليت وعوفي
فُراق الحمى من لي بتبريدك الحشا ... ودونك سور من قنا وسيوف
فؤادي الصدى (١)

حرف القاف

قليلٌ لعيني أن تصوب صبابة ... إذا شمت من تلقاء أرضكم برقا
قضاة الهوى والله يسألكم غداً ... عن العاشق المسكين ما باله يشقى
قفوا وانصفوا من عاد من جودكم بكم ... فلم يستطع صبراً فشأنكم رفقا
قتيلاً إذا ناديتموه أجابكم ... له شرق بالدمع إن ذكر الشرقا
قيامته قامت ولكن خيالكم ... يمنيه باللقيا فمن ذا يبقى (؟)
قلىً ووداداً هم (؟) في موضع الهوى ... فلا سلوة عنكم وإن جل ما ألقى
قنعت بوصل الطيف إذ قادني الكرى ... فكيف رقادي والمدامع ما ترقا
قسا قلب دهر حلَّ عقد وصالكم ... وسدَّ علينا دون ذكركم طرقا
قديماً شفى (٢) من النوى ... وردَّت لنا الأيام باطلها حقا
(٣) ... ففك إسار الحب واستنقذ الطرقا (؟)

حرف الكاف

كفى حزناً أن لا صديق وأنني ... فريدٌ بلا عيش يسر ولا نسك
كأني نضار ظنهُ الدهر بهرجاً ... وألقاه في نارٍ ليخلص بالسبك
كرهت حياتي واستطبت منيتي ... إذا ضحكت سني فعيني دماً تبكي
كبرت على شكوى الزمان وأهله ... ودهر خئون است عنهُ بمنفك
كفرت بدين الحب لولا مهفهف ... قضت لدمي ألحاظ عينيه بالسفك

(١) في الاصل حروف غير مقروءة (٢) هنا كلمة غير مقروءة (٣) الشطر الاول متعسر القراءة

كتبت اليهِ بالدموع رسالة … فجاوبني أنت القتيل بلا شك
كشفت قناعي فيك يا رشأ الفلا … وما كنت أرضى قبل ذلك بالهتك
كذاك غزال الوحش في البر يرتعي … وأنت غزال الإنس ترتع في الملك
وأيقنت (١) … بأنكَ لو نظمت واسطة السلك
كلامك من ورد وثغرك مثله … وريقك من خمر وريحك من مسك

حرف اللام

لحا الله دهراً حال بيني وبينهم … وحرَّم وصل الحب وهو محلل
لبانات نفسي وهو عندي شفاؤها … من السقم لو أن العليل يعلَّل
لبست الضنا حتى تبدَّل صورة … سوى صورتي والحب لا يتبدل
لعلَّ الليالي والحوادث خصمنا … كما حكمت فينا بجور ستعدل
لقد ضقت ذرعاً بالهوى ثم بالنوى … ولا ذنب لي لكنني أتحمل
لمى شفة المحبوب أو ورد خده … مدى أملي لو تمَّ لي ما أؤمل
لعمري لو قبلته حيث أشتهي … لأعطينه دنياي لو كان يقبل
لموت به (٢) … يولّي بتوقيع المدام ويعزل
لساني حلو وهو أحلى لو انه … يعل بسلسال الرضاب ويتهل
لي الويح إن لم أحب منك بنظرة … معاودة أحيا بها حين أقتل

قافية الميم

متى يشتفي المشتاق ممن يحبه … وهل تنفع الشكوى الى غير راحم
منيته أولى بها من حياته … إذا كان شكوى الشوق ضربة لازم
مُنعت ورود الماء والنار في الحشا … لختام أضحى مفطراً مثل صائم
مياه الغوادي والجداول جمة … وأرغب عنها بالدموع السواجم
مواردكم أشهى إلى الحائم الصدي … ولو أنها شيبت بسم الأراقم
مننتم علينا مرة بوصالكم … وسالمتم والدهر غير مسالم
محوتم كتاباً للعتاب بخطه … ومدّ إليَّ (٣) الرضا كف هادم
معالم أحيا الحب فيها قتيله … وأنصف من تلك العيون الظوالم
ملكنَ فلما جرنَ كان انتصافنا … بتلك الثنايا والخدود النواعم
ملالاً لأيام الزمان على النوى … ومعذرةً لي في الصبا المتقادم

(١) لم نستطع تبين حروف الاصل (٢) بالاصل بياض (٣) هنا كلمة متعذرة قراءتها

حرف النون

نوى فرّقت شمل الهوى فيـاهه ... ننـال (؟) وأما عهده فيصـان
نعيمي وعزي كنتم ثم بنتم ... فعيشي عذاب بعدكم وهوان
نصيبي من عهد الحبيب ووصله ... به العيش عيش والزمان زمان
نهتني النهى عن حبكم فعصيتهـا ... وهيهـات يثنى للمحب عنـان
نسيم الصبا من أجلكم أستطيبه ... وإن زاد في قلبي به الخفقان
ندمت عليهـا مثل ما يندم الفتى ... فيقرع سن أو يعض بنـان
نفت عن جفوني النوم ورق حمائم ... شكونَ ولم يفصح لهنَّ لسان
نعينَ اليَّ البين لا كان يومه ... فما باله لم يخل منـه مكان
نعينَ ولم يذرفنَ دمعاً وإنما ... تنـاثر من عيني لهنَّ جمان
نكأنَ جروحي لو أعنَّ على البكا ... بدمع ألا إن الحزين يعان

قافية الهاء

هوى الحب ريحان وراح لأهله ... وإن نضجت أكبادهم بلظاه
هرقت دمي في حب صب ولا أرى الـ ... ـمحب ليرضى أن يبيح حماه
هنيئاً مريئاً في الهوى لكم دمي ... رضاكم عن الصب العديم رضاه
هجرتم وخنتم عهد من لم يخنكم ... وقلتم ملول والملول سواه
هدمتم بناء الحب منا بهجركم ... وفي مثلكم يرضى الحكيم صباه
هدى الله قلبي بالهوى وأضله ... ولو شاء من بعد الضلال هداه
هوى عذرة أدنى هواه وإنما ... بلية من يهوى بقدر هواه
هموم جلبنَ الشيب قبل أوانه ... وصدَّعن قلباً لا يبض صفاه
هرمت وشابت لمتي غير أنني ... فتى الحب والشيخ الظريف فتاه
هزمت جيوش الصبر في معرك الهوى ... وقصر في الهيجاء طول قناه

حرف الواو

وفتني دموع العين والصبر خانني ... فجرعت في حبي لك المر والحلوا
وضقت بهذا الحب ذرعاً وحيلة ... وحتى متى أشكو ولا تنفع الشكوى
وهبتك حظي من سرور ولذة ... فجازيتني أن زدت بلوى على بلوى
وشى عندك الواشون بي فهجرتني ... وحملتني في الحب ما لم أكن أقوى
ولو أنني إذ كنت عندك مذنباً ... وجدت سبيلاً فيه أسألك العفوا

وصالك لي محيا وهجرك قاتلي وحبك شغل كنت من قبله خلوا
وقفت على آثار وصلك في الحمى وأنكرت صبري في معارفها شجوا
وقلت لعيني دار حبك فاسجمي بكاءً كما فيها قررت بمن أهوى
وحق الهوى لاذقت غمضاً ولا رقت دموعك أو تحيي المحل الذي أقوى
ورود الردى أولى وإن عيف رسمه لمن بات ظمآناً إلى ريق من يهوى

حرف اللام الف

لأستسقينَّ العين غيثاً لربعكم وإن زاده صوب الدموع محولا
لأستنشقنَّ الريح شوقاً اليكم إذا هي هبت بكرة وأصيلا
لأنتم وإن خنتم مواثيق عهدنا أحبة قلبي لا أريد بديلا
لآخر عهدي مثل أوله بكم وإن كنتم لا تحفظون خليلا
لأسعدتم المشتاق لو ذقتم الهوى فأحييتم بالوصـــل منه قتيلا
لأجزاكم (؟) بالصب أفضل مغنم بعيشكم رفقاً عليه قليلا
لأن تحسنوا أولى بكم من مساءة وما كان أولى بالجميل جميلا
لأسترزقنَّ الله يوماً فربما وجدت اليكم في المنام سبيلا
لأحتسبنَّ الذل في طاعة الهوى وأي محب لا يعيش ذليلا
لآلئ عين عقدها متناثر وإن كان لا يشفي البكاء غليلا

حرف اليـاء

يدى كل قتال وطرفك لا يدي فلا تخش في قتلي سوى الله يا ظبي
يميناً لقد أفنى هواك تجلدي وأغوى فؤادي حيث لم أدر ما الغي
يقولون أقصر كم فؤادك هائم فقلت دعوني ميتاً إنما يسمع الحيُّ
يموت أسير الحب قبل انطلاقه وما يفقد المهلوك من أمره شي (؟)
يسير عليَّ الخطب حين ألفته وألبسته مستحسناً فهو لي زي
يكاد الصفا القاسي يذوب صبابة إذا وطئته الخرَّد اللعس اللمي
يئست من السلوان حتى بكيته فلو أنني غيلان ما سُليت ميُّ
يهجنَ الهوى حتى يرينَ كيوسف ويذممنَ حسناً زانه الحلي والوشي
ينابيع دمعي من جفوني تحدرت سقت ربعكم حتى أضرَّ به السقي
يكل ويفنى منطقي عن شكيتي ومنطق مثلي لا كليل ولا عيّ

تم الديوان والحمد لله رب العالمين

الحمى الصفراء

هل هي موجودة في القطر المصري ؟

للدكتور عمر خيرت
كلية الطب — جامعة فاروق الاول

بعد أن اكتشف البرتغاليون غرب إفريقية في أواخر القرن الخامس عشر ، عرفوا هناك حمى يصحبها اصفرار الجلد ويموت بسببها الكثيرون . ومن غرب إفريقية انتقل المرض إلى أميركة الجنوبية بواسطة الزنوج الأرقاء . ولهذا المرض الوبائي أعراض يسهل تمييزها . فاذا لدغت بعوضة معدية شخصاً ، فبعد مدة أقصرها ثلاثة أيام وأقصاها ستة ، تعتريه قشعريرة وارتفاع في درجة الحرارة يستمر ثلاثة أيام مع صداع أليم ووجع في الظهر . وتحمر العينان حتى تصيرا بلون الدم ، ويشح البول ويحتوي زلالاً كثيراً . ثم تهبط الحمى بالتدريج مع بطء بالغ في النبض ، ويتلو ذلك دور النقه إذا كتب للمريض الشفاء ، وإلاَّ فترجع الحمى ويصفر بياض العينين ثم الجلد كله باليرقان (ولهذا سمي المرض بالحمى الصفراء) وينزف الدم من جميع فتحات الجسم ، من الفم والأنف والأذنين والعينين ، كما يتقيأ المريض دماً أسود ، ويبول دماً ويتبرز دماً . وقد يتهيج ثم يموت في غيبوبة . وأكثر الميتات تحدث في اليوم الخامس أو السادس من ابتداء المرض . وقد تصل نسبة الوفيات الى ٨٠ ٪ . ففي وباء ساحل الذهب سنة ١٨٢٦ مات من حامية المدينة ١١٥ جندياً من ٥٣٥ . وفي وباء عام ١٨٧٨ بالسنغال مات ٢٢ طبيباً من ٢٦ .

بعوضة الأيديز

ولما اشتدَّ الوباء في البرازيل عام ١٩٠٠ ، أوفد اليها جيش الولايات المتحدة بعثة طبية وكانت الشبهات قد حامت قبل ذلك حول البعوض باعتباره ناقلاً للمرض ، فارتدى بعض أعضاء البعثة جلابيب مرضى هذا الداء ملوَّثة بافرازاتهم وناموا بها ثلاثاً وستين ليلة مع المرضى في غرف محصنة من البعوض فلم يمرض منهم أحد . وربوا بعوضاً خالياً من الأمراض ، فقس

بيضه عندهم ، ثم جعلوه يلدغ مرضى الحمى الصفراء . فلما لدغ المتطوعين بعد ذلك أصابهم المرض ، وكان أولهم الدكتور جيمس كارول عضو البعثة . ثم أثبتوا أن جرثومة هذه الحمى من النوع المتناهي في الصغر بحيث يمر خلال مسام المرشحات ولا تمكن رؤيته بالمجهر (وهو ما يسمى ڤيرَس virus)، وذلك بأن رشحوا مقداراً من دم مريض ليزيلوا أية جراثيم عادية قد تكون فيه ، ثم حقنوا به ستة متطوعين فأصيبوا جميعاً . وثبت أن بعوضة « أيبديز إيجبتاي » Aëdes aegypti هي الناقلة للمرض ، وأنها إذا مصّت دم مريض في الثلاثة الأيام الأولى ثم لدغت أشخاصاً آخرين بعد ذلك باثنى عشر يوماً ولو لدغة واحدة ، مرضوا بهذه الحمى . وتظل البعوضة بعد ذلك تعدي الناس طول حياتها . ولا يلزم لتوالد هذه البعوضة برك أو مستنقعات بل تتوالد في أصغر مقدار من الماء في أي وعاء ولو كان علبة سردين فارغة بها قليل من ماء المطر . وإذا كان الجو مناسباً فقست البيضة بعوضة جديدة في مدة أسبوعين . وصدر هذه البعوضة مخطط على شكل قيثارة ، وذلك يميزها عن بعوضة الأنوفيليس التي تنقل الملاريا . ولقد ثبت أن نوعاً آخر من البعوض غير الأيبديز ينقل الحمى الصفراء ، حدث ذلك في بعض بقاع البرازيل . (ونصف البعوض المنتشر في المنازل في القطر المصري هو من نوع الأيبديز) .

وكانت نتيجة هذه الأبحاث الباهرة حرباً طاحنة شنتها حكومة البرازيل ضد البعوض ، فلم تترك له مكاناً يتوالد فيه حتى أصص الأزهار ، ففاقت نتائج هذه الحملة كل مأمول ، حتى ظُنَّ وقتئذٍ أن البقعة الوحيدة التي بقيت مصدراً لهذا المرض هي غرب إفريقية . ولكن الأبحاث التي قامت بها مؤسسة روكفلر الاميركية قلبت هذا الرأي رأساً على عقب ، فقد أثبت سوبر Soper سنة ١٩٣٦ أن هناك نوعين من الحمى الصفراء وإن تكن جرثومتهما واحدة : النوع الوبائي الحاد القتّال الذي سبق وصف أعراضه ، ونوع آخر ما فتئ موجوداً ولكن في شكل حميد خفيف الوطء متوطّن لم ينتبه له أحد من قبل . وساعد على هذا الاكتشاف طريقتان من طرق الفحص : الأولى لزوم أخذ نموذج من كبد كل شخص يموت في العشرة الأيام الأولى من أيّ مرض . ولا لزوم لتشريح الجثة ، بل تؤخذ قطعة صغيرة من الكبد في حجم الفولة بواسطة آلة صغيرة تُطعن بها الكبد من الخارج viscerotome ، وتعمل منها قطاعات رقيقة تصبغ بلون خاص ، ثم يفحصها الطبيب الباثولوجي تحت المجهر ، فيعرف أن وفاة المريض بسبب هذه الحمى حتى لو لم يصحبها اصفرار في الجلد يدلّ عليها ، إذ يصيب المنطقة الوسطى من فصوص الكبد تلف وتحوّل دهني . والطريقة الثانية ـ طريقة حقن الفيران mouse protection test يمكن بواسطتها التحقق

من وجود الحمى الصفراء في بلدٍ ما ولو كانت مستترة في شكلها الحميد المتوطن . والطريقة باختصار هي أن تحقن الفيران في تجويف بطنها بمصل دم الشخص المراد فحصه بعد أن يمزج بالجرثومة مستخلصة من مخ فأر ، وفي الوقت نفسه يحقن مخ الفيران نفسها بقليل من محلول النشا المغلي ليجذب الجرثومة الى المخ . فان لم يكن الشخص قد أصيب مطلقاً بهذه الحمى ، فإن الفيران تموت في مدة أسبوعين . وأما إن كان مرض بها ولو من سنين كثيرة . فإن الفيران لا يصيبها أيّ ضرر ، إذ يقيها المصل فعل الجرثومة لاحتوائه على مواد واقية تبقى في الدم بعد الشفاء من المرض وتقي الشخص هذه الحمى طول حياته . وقد ثبت بطريقة حقن الفيران هذه أن الحمى الصفراء لا تزال متوطنة في منطقة تمتد من درجة ١٥ شمالاً الى ٥ جنوباً ، في إفريقية من السنغال غرباً الى مديرية بحر الغزال في السودان شرقاً ، وفي أميركة الجنوبية في البرازيل وبوليفيا وكولمبيا ، وما بين إفريقية وأميركة من جزر . وكذلك نزل المرض في المنطقة المعتدلة بالجهات الجنوبية من الولايات المتحدة كما أصاب أسبانية وايطالية .

ولا تندثر الجرثومة في الفترات التي تعقب موجات المرض الوبائي ، بل ينقلها البعوض إلى القرود والقنافذ ونوع من الحشرات القارضة ، فيحفظها فيها إلى أن يمص دمها بعوض جديد ينقلها إلى الآدميين من جديد ، وبذلك تبقى الحلقة متصلة .

والطريق الطبيعي العادي الذي يصاب بهِ الناس بالمرض هو لدغة البعوضة ، ولكن الجرثومة يمكنها أيضاً اختراق الجلد السليم كما يمكنها الدخول من العين ومن غشاء الأنف متى لمست نقطة من دم مريض في الثلاثة الأيام الأولى أحد هذه المواضع . وقد يحدث هذا للأطباء ومساعديهم عند تحليل الدم أو تشريح القرود لعمل الأبحاث بها . ولقد شاهدت سنة ١٩٣٥ لوحاً من الرخام على باب غرفة المعمل بمستشفى طب المناطق الحارة في لندن ، عليه اسم فتىً كان مساعداً فنيًّا ومات بالحمى الصفراء بسبب نقطة دم لمست أصبعه ، من مريض كان يعدّ كرات دمه . وذلك لأن الفيرس يوجد في الدم بمقادير لا يتصورها العقل في الثلاثة الأيام الأولى من المرض ، حتى إن القطرة الواحدة من الدم تحفظ قوّتها المعدية ولو خُففت بالماء عشرة آلاف مرة . والفيرس لصغر حجمه لا تمكن رؤيته بأقوى المجاهر العادية ، فان حجمه يختلف بين ١٧ مليميكرون و ٢٨ (المليميكرون جزء من مليون من المليمتر) .

والفضل في اكتشاف لقاح واق من هذه الحمى يرجع إلى ثيلر Theiler فإنهُ وجد عام ١٩٣٠ أنهُ عند حقن مخ الفيران البيض بجرثومة المرض يصيبها الالتهاب في المخ

ولا تتأثر أحشاؤها . فبعد نقل الجرثومة من مخ فأر الى مخ فأر آخر نحو عشرين مرة ، تتحول جرثومة « مثبتة » fixed لا تصيب غير المخ ، فإذا حقن بها بعد ذلك قرد تحت الجلد ، فلا تتأثر أحشاؤه ولا تظهر عليه أعراض الحمى الصفراء ، بل بالعكس تتكوَّن فيه مناعة ضد هذه الحمى .

ولما كان معظم الأمراض التي جرثومتها ڤيرس (كالجدري مثلاً) لا ينفع في الوقاية منها إلاَّ لقاح جرثومته حية ليست مقتولة كما هو في الحال في اللقاح الواقي من التيفويد مثلاً ، فقد استعمل ليجريه Laigret الفرنسي سنة ١٩٣٣ لقاحاً مكوَّناً من مخ الفيران المصابة بڤيرس مثبَّت ، جراثيمه حية . ولكن أُضعفت قوتها المعدية بتمريرها في مخ الفيران مرات كثيرة (١١٥ مرة) . ولكن لما كان استعمال مثل هذا اللقاح لا يخلو من خطر لاحتوائه جراثيم حية ، ابتكر فندلي Findley عام ١٩٣٤ في معهد «ولكم» للأبحاث بلندن طريقة حقن المريض باللقاح مصحوباً بمصل واقٍ يستحضر من دم شخص يكون قد شفي من الحمى الصفراء ، بعد ان يزاد مقدار المادة الواقية في دمه بحقنه بلقاح ليجريه . واجتناباً لما عساه يكون في مخ الفيران من جراثيم أمراض أخرى ، يُزرع الڤيرس الآن على جنين البيضة وهو داخلها . وبالرغم من أن المصل الواقي يرشَّح لينقَّى من أي جراثيم عادية قد يكون ملوَّثاً بها ، ثم يعقم بعد ذلك بتسخينه نصف ساعة في درجة ٥٦ سنتجراد ظهر أخيراً أن هذا التطهير غير كاف ، إذ ظهرت على بعض من لقحوا بلقاح فندلي أعراض مرض اليرقان المخاطي infective hepatitis بعد تلقيحهم باثنين وثمانين يوماً ، وهو مرض بسيط لا خوف منهُ إلاَّ في ما ندر ، وجرثومته نوع من الڤيرس . واتضح أنهُ لا بد أن بعض من أُخذ مصلهم لاستعماله في لقاح فندلي ، كانوا في دور حضانة هذا المرض لم تظهر عليهم بعد أعراضه كاليرقان وغيره . ولقد أجرى فندلي ومارتن Martin أبحاثاً في هذا الشأن ، نشرا نتيجتها في مجلة اللانست في العام الماضي ، ولا شك أنهُ اتخذت احتياطات لتطهير المصل الواقي بطريقة أوفى حتى لا يتكرر ما وقع .

وكما أن إبادة البعوض من أفعل الوسائل في قطع دابر هذه الحمى ، فتلقيح السكان كذلك لازم ، خصوصاً أهل المدن الساحلية والمدن التي بها مطارات وبلاد الدلتا الواطئة الرطبة . وفي جامبيا لُقح أغلب الأوربيين لعدم وجود المناعة عندهم ووجودها عند أهل البلاد الأصليين الذين يصابون وهم أطفال بالنوع الخفيف الوطأة المتوطن ، فتتكوَّن عندهم مناعة تبقى طول العمر ، فتقيهم المرض الوبائي الحاد . والخوف الآن هو من انتقال الحمى الصفراء إلى بقاع أخرى في إفريقية ، وإلى الهند والصين ، فإنها تفتك بالأقوام الذين لا مناعة عندهم فتكاً ذريعاً

ويظهر أن النوع الوبائي القتّال لم يزر مصر حتى الآن ، ولا أظن أن أحداً أجرى تجارب حقن الفيران فيها لمعرفة وجود النوع الحميد بها ، والناس يحسبونه انفلونزا بسيطة . ولا يبعد أن يكون هذا النوع الخفيف الوطأة الصعب التشخيص متوطناً بمصر ، فإنهُ موجود في السودان كما ظهر من تجارب حقن الفيران هناك ، وإن لم يظهر في شكله الوبائي . بل لقد أصاب المرض الوبائي الفتّاك بلاداً أبرد من مصر جوًّا هي ايطالية واسبانية ، ولا تعوز مصر البعوضة الناقلة لهُ ، فإن نصف البعوض المنتشر في المنازل منها . فإن كان هذا النوع الحميد من الحمى متوطناً بمصر فالخوف هو من أن تظهر بين وقت ووقت حالات من النوع الوبائي القتّال . وإن لم يكن للمرض وجود بمصر قط ، فالخطر من وروده من غرب إفريقية ومن السودان خطر جدير بكل عناية ، فقد تنقل الطائرات شخصاً في دور الحضانة لا تظهر أعراض المرض عليه إلاَّ بعد وصوله ، فإن لدغته بعوضة الأييديز ثم لدغت بعد ذلك أشخاصاً آخرين انتشر الوباء لا قدّر الله . بل قد تحمل الطائرات بعوضاً معدياً مستعدًّا لنشر المرض على الفور . وهناك بالطبع اتفاقات دولية بشأن تطهير الطائرات من البعوض في المطارات ، وأنظمة للحجر الصحي والتلقيح ضد هذا المرض .

والحرب ضد البعوض قد شنتها وزارة الصحة في مصر فلم تنتشر بعوضة الجامبيا التي نقلت الملاريا في باقي مديريات القطر . ولكن على الجمهور أيضاً أن يقوم بواجبه ، فلا يخلو منزل سواءٌ في المدن أو في الريف من أماكن تصلح لتوالد البعوض ، مثل الماء الذي في صينية القلل أو الذي في زير غير مغطي أو الاناء الموضوع تحته ، وكذلك ما يوضع من ماء قليل تحت أرجل خزائن الطعام لمنع وصول النمل اليها أو أيّ ماءٍ في وعاء مهجور . كل هذه أماكن تصلح لتوالد بعوضة الأييديز مهما تردم الحكومة من برك ومستنقعات ، والواجب تغطيتها حتى لا يبيض فيها البعوض ، أو إذا لم يمكن تغطيتها يوضع فيها قليل من الجاز لقتل اليرقات . وإذا كان الجمهور في مصر لم يشارك الحكومة مشاركة جدية في حربها ضد البعوض أثناء وباء الملاريا الأخير ، فلأن بعوضته أصابت إقليمين فقط ولم تنتشر في القطر كله ، ولأن نسبة الوفيات من الملاريا نسبة ضئيلة ، ولم تفتك الملاريا بالفقراء في قنا وأسوان إلاَّ لأنهم كانوا جياعاً ضعفت مقاومتهم . أما الحمى الصفراء فشأنها غير ذلك ، لا يفلت منها إلاَّ من لقح ضدها أو من كان قد شفي منها ، ومن كل مائة تصيبهم قد يموت ثمانون شخصاً ، والبعوضة الناقلة لها موجودة في القطر المصري كله . فلا شك أن أول ما ينبغي عمله هو فحص دم أفراد كثيرين كبار في السن يختارون من كل مديرية في مصر ، بطريقة حقن الفيران ، لمعرفة وجود المرض بشكله الحميد أو عدم وجوده قطعاً .

من مناهج التأليف

في القرن الثالث الهجري

لمحمد عبد الغني حسن

يعدّ ابن قتيبة من أقدم المؤلفين في اللغة العربية، فقد عاش في القرن الثالث الهجري، وأمدّ المكتبة العربية بكثير من الكتب المتنوعة في الأدب والتاريخ واللغة والتفسير والحديث والفقه. وبعض هذه الكتب أدركته الحظوظ البواسم فطبع أحسن طبع وأكثره إتقاناً، من ذلك كتاب «عيون الأخبار» الذي طبع جزء منه في مدينة «جوتنجن» سنة ١٨٩٩ تحت إشراف المستشرق بروكلمن. ولكنه طبع كاملاً في مطبعة دار الكتب المصرية المشهورة بحسن القيام على ما تطبعه.

ويظهر أن ابن قتيبة كان مجموعة من المعارف الدائرة في عصره. فهو يشبه جماعة «الانسكلوبيديين» أصحاب الموسوعات في العصور الحديثة.

تراه في الشريعة عالماً متمكناً وخطيباً متدفقاً، شهد له ابن تيمية الفقيه المشهور، ولم ينقصه في المرتبة عن ابن الأنباري المحدث السلفي الجليل. وتراه في الرواية والتاريخ حجة ثبتاً، وراوية محققاً، ينتخل الأخبار ويميز بين الآثار. وتراه في الأدب صاحب ذوق سليم ومنهج قويم، وطبع أصيل، وفطرة مواتية، وسليقة جارية، لم يفسدها تشدد الفقهاء، بل تراه على الضد من ذلك ينفر من التزمت، ويتجافى عن التعنت، ويأخذ نفسه بالمزح في غير إسراف والفكاهة في غير إغراق. لأنه يرى حاجة النفس البشرية إلى التخلص من قيود الجد أحياناً حتى لا تفسد الطباع.

ولقد جرت عادة ابن قتيبة أن يقدم لكتبه بمقدمة تختلف طولاً وقصراً وأهمية بحسب موضوع الكتاب وأهميته. فلكتابه «الميسر والقداح» مقدمة لا تتجاوز الثلاثين سطراً. ولكنها على إيجازها توضح الغرض من تأليف الكتاب، وتبين الغاية التي قصد اليها مؤلفه، والخطة التي سار عليها.

ولكتابه المشهور «أدب الكاتب» أو «أدب الكتاب» مقدمة طويلة شرحها ابن

السيد البطليوسي في صدر كتابه « الاقتضاب ، في شرح أدب الكتاب » . ولم يترك الشارح شيئاً في المقدمة إلا علق عليه تعليقات لغوية أدبية تاريخية .

وكتاب « الاقتضاب » هذا مطبوع في المطبعة الادبية ببيروت في بدء القرن العشرين . وقد صححهُ وضبطه وأشرف على طبعه العالم اللغوي الشيخ عبد الله البستاني صاحب معجم البستان .

أما كتاب « عيون الأخبار » فهوأضخم كتب ابن قتيبة المطبوعة ، وأحفلها بالأخبار . وهو من كتب الأدب الممتعة التي تتنقل بين صفحاتها كما تتنقل في الروض الأنيق بين ثمره وينعه . فتأخذ لنفسك ما طاب لها ، ووافق هواها ، بين تاريخ وأدب وملح ونوادر وشعر ونثر . وقد قسمهُ أبواباً عشرة ذكرها مفصلة في المقدمة ليعفي القارىء من كد الطلب وتعب التصفح وطول النظر عند حدوث الحاجة الى بعض ما أودع فيها .

والذي يعنينا من هذا الكتاب مقدمته . فهي تعرض علينا منهجاً من مناهج التأليف ، وترينا أسلوباً من أساليب الكتّاب في العصور الأولى للتأليف العربي . وهو منهج لم يخطىء صاحبه التوفيق ، وطريقة كانت قصداً لمن أتى بعده من المؤلفين .

وأحب قبل الأخذ في الموضوع أن أشير الى ناحية من أخلاق المؤلف في أدب نفسه . فقد كان رجلاً جليل القدر موفور المروءة مصوناً عن الدنية . ولهذا اشترط على المتأدب المتصدي للتأليف (أن يؤدب نفسهُ قبل أن يؤدب لسانه ، ويهذب أخلاقه قبل أن يهذب ألفاظه ، ويصون مروءته عن دناءة الغيبة وصناعته عن شين الكذب) .

وتلك مثلى الخطط لمن يتصدى لتناول الأدب ، ويستهدف لمآخذ التأليف . فمن العيب أن يكون الأديب حلو اللفظ مرّ الفعال . ومن التنافر أن يكون الأديب رقيق العبارة وغليظ الطبع جافي الخصال .

وأول ما صنع ابن قتيبة أنه جعل الكتاب أبواباً متقاربة وفصولاً متشابهة ، وقرن الباب بشكله ، والخبر بمثله ، والكلمة بأختها ، ليسهل على المتعلم علمها ، وعلى الدارس حفظها ، وعلى المريد طلبها . وتلك طريقة تدل على العقل المنظم والذهن المرتب . ومزيتها أنها تسهل الرجوع الى الكتاب في أي باب . ونعرف فضل هذه المزية في كتاب عيون الأخبار ، إذا وازنا بينه وبين كتاب « الكشكول » لبهاء الدين العاملي ، وكتاب « المخلاة » له ، وكتاب « زهر الآداب » للحصري القيرواني . فهي كتب تنساق فيها الروايات والحكايات من غير جامع يجمعها أو نسب يؤلف بينها . ولهذا يصعب الرجوع اليها ، والبحث فيها . ولكنها تنفع لمن يمسك الكتاب من أوله فلا يتركه حتى يأتي على آخره . ولهذا كان

« عيون الأخبار » مرجعاً قديماً سهل المورد قريب التناول . وثاني ما صنعه ابن قتيبة أنه لم يجعل كتابه وقفاً على فريق دون فريق أو خاصّاً بجماعة دون جماعة . فلم يجعله وقفاً على طالب الدنيا دون طالب الآخرة ، ولا على خواص الناس دون عوامهم ، ولا على ملوكهم دون رعاياهم . ولقد أنصف فيما صنع . فان مزية الكتاب الطيب أن تأخذ منهُ الألباب على قدر القرائح والفهوم ، كما فعل ابن المقفع في كتاب « كليلة ودمنة » فللعاقل فيه مطلب ، وللجاهل كذلك . فالأول يلتمس العبرة ، والثاني يجد التسلية . وثالث ما صنع ابن قتيبة أنهُ جعل فيهِ باباً للمزح والفكاهة ترويحاً للقارئ من كد الجد . فان الأذن مجّاجة . ولا بدَّ للطبع المكدود من فكاهة تريح عنهُ ، بشرط ألاَّ يخرج ذلك عن غرض الكتاب . فان المزح إذا كان مقارباً ، ولاحايينه مُشاكلاً ، كان أجدى على النفس وأروح للقلب . ولم يخرج بهِ ذلك إلى القبيح أو المنكر أو الكبائر والصغائر . فأن النبي عليه السلام كان يمزح ولا يقول إلاَّ حقّاً .

وقد التزم المؤلف الصراحة في هذا الباب جرياً على طريقته . فهو لا يرى أن الإفصاح بذكر العورة أو التصريح بوصف الفاحشة فيه خروج عن جادة الأدب ، أو انحراف عن منهج الأخلاق . وهو يرى أن أسماء الأعضاء لا تؤثم . . وإنما المأثم في شتم الأعراض وقول الزور والكذب وأكل لحوم الناس بالغيب . ويروي تأييداً لمذهبه أخباراً عن النبي عليهِ السلام وأبي بكر وعلي بن أبي طالب والشعبي الفقيه .

والرجل هنا فطن لبيب ، فلا تفوته المهاجاة بين جرير والفرزدق ، هو يعرض لها ، ويعرِّض بها . ويذكر أن ما جاءَ في كتابهِ ليس من شكل ما جاءَ في شعر الشاعرين الأمويين . لأن شعرهما تعيير وابتهار في الأخوات والأمهات وقذفٌ للمحصنات الغافلات . . ولا يرى التصريح بالكلام إلاَّ عند ما لا يجد منهُ بدّاً ، وذلك حين لا تغني الكناية ولا يجدي التصريح .

ومما انتهجه ابن قتيبة أنهُ قد يروي الحادثة بألفاظ غير معربة وعبارات ملحونة ، حرصاً على حلاوة النكتة وملاحة النادرة . لأن الإعراب قد يفقد النكتة حلاوتها ويضيع مزيتها .

ومن العجيب أن يصدر هذا الكلام عن أديب كبير من أدباء القرن الثالث . وهو في الوقت نفسه عالم باللغة وأسرارها وله فيها مجال أي مجال . ولكن الرجل — كما أسلفنا — حين نصب نفسه للرواية والأدب طرح عن نفسه تزمت الفقهاء ، وجمود النحاة . فهو يصرح بالفكاهة ولو أغضب جماعة المتزمتين ، ويروي الحادثة على وقوع اللحن فيها ولو أسخط جماعة النحويين ، ما دام في ذلك إرضاء لحق النكتة . . وهو حق عند الأدباء واجب الأداء ....

وجميل من ابن قتيبة ألاَّ يزعم أنهُ اختار لكتابه أطيب ما في سوق الأدب ، وهو هنا يلتمس معذاره إذا لم يعجبك اختياره .. ويحسن الاعتذار بقوله : (إن الحسن إذا وصل بمثله نقص قدراهما ولم يتبين فاضل بمفضول ، وإذا وصل بما هو دونهُ أراك نقصان أحدهما من الآخر الرجحان) .

ومنهج آخر لابن قتيبة في جمع الأخبار والتقاطها . أنهُ ينشدها كل منشد، ويطلبها كل مطلب، بغض النظر عن الأسنان والأقدار . فهو لا يستنكف أن يأخذ عن الحديث سنًّا لحداثته ، ولا عن الصغير قدراً لخساسته ، ولا عن الأمة الوكعاء لجهلها فضلاً عن غيرها . وقد أنصف الرجل، فالحداثة لا تمنع فضلاً ، والفقر لا ينقص قدراً . وما أصدق الشاعر حين قال :

فما الحـــداثة من فضل بمانعـة قد يظهر الفضل في الشبان والشيب

ويظهر أن الرجل كان له اطلاع على اللغة الفارسية ، فهو من أصل فارسي . وأبوه من مدينة مرو ، وإن كان صاحبنا ولد بالكوفة أو بغداد على خلاف بين المؤرخين في ذلك . ويعترف في مقدمة كتابه بأنهُ تلقط بعض هذه الأحاديث من كتب الأعاجم وسيرهم . وهي كتب أثرت في الأدب العربي أثراً واضحاً ، وتأثر بها طائفة من أدباء العربية الأوائل أمثال ابن المقفع وآل نوبخت والجاحظ والبيهقي وغيرهم .

وكان يختار من شعر المتأخرين وكلام المحدثين ما حسن لفظه ورقَّ معناه . فلم يتعصب للأوائل على الأواخر ولم يؤثر المتقدم على المتأخر . ولكنه راعى حسن الكلام ولم يراع سبق الزمان . فربَّ كلام قديم لم يرفعه قدم صاحبه . وكلام حديث لم يزر به تأخر قائله . بل العبرة بالقول ذاته دون زمانه ومكانه . إلاَّ أنه أغفل في كثير من الكتاب نسبة الكلام إلى أصحابه ، فهو يكتفي بقوله : « قال الآخر » تخلصاً من النص على القائل . وقد كان ذلك يكون مقبولاً في عصورنا المتأخرة لسعة المأثور وكثرة المروي واختلاط مذاهب النسب على مريده . أما في عصر ابن قتيبة فذلك كثير ...

ولم ينس ابن قتيبة على مكانه في الفقه والشريعة حظه من الدنيا ... فلم يكن من العلماء الذين لا يرون الدين إلاَّ صلاةً وقياماً وركوعاً وسجوداً ... بل كان يرى الطريق الى الله في كل شيء . . ويقول في ذلك : (ليس الطريق الى الله واحداً ولا كل الخير مجتمعاً في تهجد الليل ، وسرد الصيام، وعلم الحلال والحرام ... بل الطرق اليهِ كثيرة وأبواب الخير واسعة ، وصلاح الدين بصلاح الزمان) .

وكان على دينه وعلمه وتقواه مرحاً في وقار ، لم يخرج عن سمته، ولم يجرح المرح كرامته . وصفهُ الخطيب البغدادي صاحب (تاريخ بغداد) بأنهُ كان ثقة ديّناً فاضلاً .

الرؤساء الثلاثة

— ٣ —

ولسن : محرر الشعوب

للدكتور نجيب الأرمنازي

إذا كان مصرع لنكلن قد أشجى الولايات المتحدة وأمضها ، فان عاقبة ولسن كذلك لا تقل عنها في ما أبقته من شجو وحزن ، ولئن اغتال الأول متعصب أعمى لقد اغتالت الثاني المنازعات الحزبية والمنافسات السياسية ، وشيء آخر أراده أن يكون في العالم وهو رفعه إلى مستوى أعلى ، ولكنهُ كان فوق حقيقته وفوق ما يستطيعه ، وقد انتهت حياة الرئيس السياسية وطويت أخرى صحائفها سنة ١٩٢٠ لا سنة ١٩٢٤ حين وقَّع أحد الأطباء وثيقة تحمل اسم وودرو ولسن وتثبت وفاته . فأية علامة تهكم مخيفة تقترن بسيرة هذا الرجل الذي ظهر في حين من الأحيان كأنه بارقة أمل الانسانية بأسرها ، وأنهُ أقوى شخصية في تاريخ الولايات المتحدة وجمهوريتها ! ولكن سرعان ما اختفى وراء الأفق وسجل اسمه ذكرى أعظم إخفاق في تاريخ السياسة . وما هذا الاخفاق إلاَّ نتيجة اجتماع عناصر مختلفة أدت إلى تضاؤل حب شعب الولايات المتحدة له ، فقد أغضب الارلنديين لأنهُ لم يؤيد قضيتهم التأييد الذي كانوا يتوقعونه ، وأثار الألمان لأنهُ لم يرع عهده لوطنهم ولم يصر الاصرار كله على تنفيذ قواعده الشهيرة ، وأحفظ الايطاليين لأنه لم يدع بلادهم تحقق كل ما تصبو اليهِ من توسع ، ولم يطمئن كذلك رغبات منافسيه السياسيين في بلاده فجعلهم يتربصون به الدوائر . وقد سألت جريدة نيويورك افننغ بوست الأميركية الجنرال سمطس الذي اجتمع له من صفات القيادة العسكرية والبراعة السياسية ما لم يجتمع لسواه ، رأيهُ في عمل الرئيس ولسن وما صار اليهِ أمره ، فأجابها بقوله : « لقد اضطرَّ الرئيس ان يتسامح في كثير مما قرره من قواعده الأربع عشرة ، وليس هو الذي أخفق بل الانسانية هي التي أخفقت وسيبقى المبادئ التي وضعها من الخلود ما يحسد عليه ... ولن يفوت الأميركيين في مستقبل

أيامهم أن يضعوا ولسن إلى جانب وشنطن ولنكان ، وستفوقهما شهرته بشمولها وأثرها في جميع العالم . »

حقًّا لقد غلب الرئيس على أمره في أثناء مفاوضات الصلح ونزل عن عدة نواحٍ من مبادئه العليا ، ولكن المعاهدة مع ذلك كانت مطبوعة بطابع الرغبة في الصلح والسلام ، وقد أصرَّ ولسن على أن يكون السلم معقوداً في وضح النهار ومؤسساً على العدل المجرد عن الهوى وكان يريد من عصبة الأمم أن تكون ضماناً لصيانة السلم وأن تستعين لادراك غاياتها بقوى العالم المتمدن المتحدة ، غير أن أوربة كانت أميل لسياسة التوازن ومنافسات التحالف ، ومع ذلك استطاع الرئيس بما دعا اليهِ من المبادئ القويمة المؤسسة على الإيثار أن يغير كثيراً من أساليب السياسة الأوربية القديمة التي تستمد من قواعد الفتح وخطط مكيفلي ، وكانت عصبة الأمم الوسيلة الوحيدة لحماية الحضارة والدفاع عنها ، وهي فكرة عظيمة وطريقة محدثة في التاريخ العام ، لو استطاعت أن تسيطر على الدول بجملتها ، لا أن تضيع ثقة العالم بعجزها عن تحقيق مثلها العليا .

وقد أراد الرئيس في دعوته إلى إنشاء عصبة الأمم أن يجعل من قاعدة مونرو الأميركية قاعدة عالمية ، فقال في رسالته سنة ١٩١٧ : « أقترح أن تطبق هذه القاعدة في العالم كله ، بحيث لا تعمل دولة على إجبار أمة أخرى أو شعب آخر على الخضوع لسياستها الخاصة ، ولكن كل شعب تترك لهُ الحرية في تحديد السياسة التي يريدها والطريقة التي يختارها دون أن توضع العقبات في سبيله أو يعرَّض للتهديد والارهاب ، والشعوب الصغيرة في ذلك كالشعوب الكبيرة أو الشعوب العظيمة » . وقد انتقد الشيخ لوردج الذي كان رأس معارضة ولسن هذا ، وقال : إن معنى إعلان تطبيق قاعدة مونرو في العالم بأسره أنها لم يبق لها مجال تطبيق أو بقاء ، إذ هي في الحقيقة لم توضع إلاَّ لحماية نصف الكرة الأميركية . على حين أن هذا الشيخ نفسه كان يخطب في أثناء الحرب خطباً لا تخرج عن مبادئ الرئيس ولسن وما يدعو الناس اليهِ

ولم يكن الرئيس ولسن يعد نفسه محارباً في جملة المتحاربين ولكن حكماً بينهم ؛ وقد حاول في بادئ الأمر أن يحتفظ بحياد بلاده ، فالانكليز يعرقلون سير التجارة الأميركية والألمان ينسفون سفنها ، ولكن الأميركيين كانوا يخشون عاقبة انتصار ألمانية وبسط سيادتها على العالم ، وما يجر اليهِ ذلك من تهديد بلادهم وإفساد المبادئ التي تحيا لأجلها وتحيا فيها وخسران ما لها من مصالح خاصة وعامة ، وهي لم تكن تخشى أن تستعبدها ألمانية

إذا كتب لها النصر ، ولكنها لم تكن تشك أن سحق ألمانية للدول المتحالفة يعرّض أميركة لأخطار عظيمة ويحملها على أن تتبع في بلادها خططاً ومناهج عسكرية وأن تكون دائماً مضطرة للتأهب والاستعداد ، فكان رأي جمهور هؤلاء الاميركيين أنهُ يجب التدخل حتى يدفع هذا الخطر الداهم قبل أن يفوت الأوان ، وكانت حرب الغواصات التي أعلنت ألمانية عزمها على القيام بها دون هوادة سبباً في دخول أميركة الحرب ، وقد ارتكبت ألمانية أخطاءً كثيرة في الحرب الماضية ، فقد ظنت أن إنكلترة لا تحارب في سبيل قصاصة ورق (حياد البلجيك) . وحسبت أن باريس ستسقط قبل أن تكون روسية قد أتمت تعبئتها ، وأن إيطالية ستكون في صفها أو أنها تبقى على الحياد . ولكن لم يرتكب شعب خطيئة سياسية تحمل بسببها أعباءً كثيرة كخطيئة الشعب الألماني عند ما دفع الولايات المتحدة ورئيسها الذي يحب السلم الى خوض غمرات القتال ، فلم يقدر عواطف الأمة الأميركية حق قدرها ولا حسب حساب وسائلها العظيمة وقدرتها بذلك على أن تنقلب دولة عسكرية قوية .

وقد كان الرئيس ولسن — كما وصفه هنري وليم أستاذ التاريخ في جامعة نيويورك — على خلق عظيم وشرف رفيع ، ممتعاً بأرقى مواهب الفكر ، واثقاً بنفسه ، مستقلا برأيه ، لا يخلو من الحذر والحيطة ، ولا ترى فيه صفات الإيناس والتحبب أو الجاذبية الشخصية التي تعد سبباً جوهريًّا من أسباب النجاح في صناعة السياسة . وقد تلقى مبادئه وتعاليمه عن الأسس الدمقراطية الأميركية وتقاليدها ووجدها في النصوص التاريخية والقواعد الحرة حتى كأنهُ حاول أن يطبق أساليب بلاده في العالم كله . حقـاً أنهُ كان ينتقد بشدة مناهج بعض الأميركيين في الإغراء والإفساد والرشوة وكان يرجو أن يشفي عالماً عليلاً مضطرباً ويجعلهُ صالحاً شريفاً بتنفيذ الخطط التي تغلغلت في فؤاده . وكان في بعض كتبه ومؤلفاته يشرح الحرية الانكليزية ويتخذها مثالاً يحتذيه ، ويستحسن ما يصنعه المصلحون من الانكليز الذين يعملون على إنقاذ الامبراطورية دون أن يغيروا الدستور أو يبطلوا قواعده أو يغيروا جوهر الأمور وطبيعتها .

وكان الرئيس في مؤتمر فرساي يرسل نظراته إلى العالم وإلى ما يجري فيه من أحداث خطيرة ويريد تغييره واصلاحه دون أن يزلزل بنيانه ويقوّض أركانه، بل يعمد إلى تطبيق قواعد الحرية السائدة في أميركة وفي بريطانية العظمى بضمان عصبة الأمم وتمهدها ، ولكن تقاليد الفتوح وضغائن الحروب التي أحياها النصر في النفوس ، وبث المبادئ الوطنية المفرطة في صفوف الشعوب الكبرى والصغرى ، جعل ممثلي جميع هذه الشعوب يتهافتون على إحراز ثمرات الانتصار، فأصبح هذا الوضع منذراً منذ افتتاح المؤتمر، وأخذ الرئيس يحذر عواقب

الطمع والحرص وما تجره من النكبات والكوارث ، وأنكر الاعتماد على السلاح للاستيلاء على بعض البلدان ، ففي ذلك ما فيه من نقص قيمة المطالب المنشودة وإضعاف شأنها ، لأن تحكيم القوة يؤدي إلى الاعتقاد بأن الذي يلجأ اليها يشك في عدل قضيته وصحة حجته ويريد أن يستحوذ على الربوع التي لا يجد لديه من الحق ما يكفي لتأييد دعواه فيها ، فيحل العنف والشدة محل الحق الذي يستند إلى الجنس والتاريخ والشعب ، ويثير الشبهات بعمله حول المستندات التي يعتمد عليها ، كما أنهُ يؤكد عدم ثقته بمؤتمر السلم .

وفي الحق أن قوى عظيمة كانت تتهيأ لنضاله ، وهي قوى مخيفة متألبة . وكان ولسن يمني نفسه بالانتصار على النظام القديم ، لأن العالم كلهُ كان يؤيده ويهتف له في ساعة من ساعات الحماسة وسمو النفوس ، ولكن هذا العالم كله كان يرتاب في نجاحه ويتجهم له ويحمل عليهِ ، وكان يعتقد باصلاح النوع الانساني ويقدر عظم التبعة وخطر المسؤولية . وقد قام بعمل من أعمال الدعاة والحكماء والفلاسفة ، فخاطب الشعوب وقرَّر المبادئ وحث على تطبيقها ولكنه لم يقارب بينها وبين حقائق الحياة كما هي ، وحقائق الشعوب كما هي . لا كما يريد أن تكون هذه وتلك ، فلم يلبث أن وجد المبادئ التي قررها يُدال منها حتى إنها حوّلت في المعاهدة إلى نصوص أصبح الرئيس نفسه يجهل كثيراً منها . وقد خاض غمار مفاوضات سياسة عسيرة في باريس كانت أهبته لها أقل من أهبة مخاطبيه ومناظريه المجهزين بالأسلحة الماضية والبراهين القاطعة ، حتى إن بلاده تخلت عنهُ ، كما عارضه حلفاؤه وتنكروا له ، وبقي وحده يناضل في قتال عنيف ويعالج المصاعب الجسام ، وباح الرئيس بما يخامره من أسى في خطبة ألقاها بلهجة مؤثرة في جمعية الشرائع الدولية في باريس على أثر تقديم المعاهدة إلى مندوبي الألمان قائلاً : لقد خيبت تجارب الحياة ما تطلعت اليهِ الشعوب من آمال حسان ، وخيل إليها أن الشمس لا تشرق بضيائها دفعة واحدة ، ولكن تسير على مهل فتشق أشعتها الدياجي رويداً رويداً حتى تملأ الكون بنورها الوضاء .

إن هذا الرئيس الذي شعر بمرارة الخيبة كان يعتقد بكوكب سعده الطالع وكأنهُ رأى بعينه فجر الحرية قد انشقّ جانبه وبزغ تاريخه ، فحاول أن يجعل من أماني الأمس حقائق الغد ، فيالها من ساعة عظيمة في التاريخ ، ويا بؤس الذين اعترضوا مناهجه وقطعت بهم السبل دونه ! فقد كان في مصلحة الدول بل في مصلحة أوربة كلها تنفيذ شروط الرئيس ولسن والتقيد بها ، فهذه الشروط أعانت الحلفاء عوناً كبيراً في سنة الحرب الأخيرة بما بعثته في النفوس من العقيدة التي أخذت بمجامع القلوب ، بعد أن أصبح كثير من المحاربين

يتململون من القتال في سبيل غايات موهومة ، وقد أنكر على ولسن شأنه مفاوضاً ورجل دولة ، ولكن هل ينكر أن قواعده هي الوثيقة الأولى التي احتكم اليها الفريقان المتقاتلان ، وأن كلماته كان فيها من بعد الغور وعظمة الحقيقة ما لا ينسى أبد الدهر ؟ وقد حسب الرئيس الأميركي عند ما أعلن آراءه وقواعده أنه اقتربت ساعة التقاليد السياسية القديمة ، وأزيل الستار الذي كان يخفي وراءه الدول العظمى ، فأقبل الناس بعضهم على بعض يستبشرون بأن رجلاً في هذه المنزلة ، وهذا المقام والسلطة من أمة عظيمة ، رفع صوته بذلك النداء الذي خرج من كل قلب ، ولكنه كان كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه ، وطويت الفكرة الجديدة في أعلام الظفر المبين الذي ينشئ في النفوس سكرة غرور واقتدار هي أشد خطراً من السم .

أما الولايات المتحدة فقد نفد صبرها يومئذٍ من الرجل الذي لا يعرف إلاَّ قليلاً من حقيقة العالم ، والذي تكهن بوقوع الكارثة مرة أخرى إذا لم تعبئ أمنه قواها الحربية والاقتصادية لمقاومة معكري صفو السلام ومهددي بنيان الحضارة . وقد ضحك الناس من أقواله سنة ١٩١٩ ، ولكن لم تأت سنة ١٩٤١ حتى أصبح هذا الضحك أشبه بالبكاء ... وأخذ الأميركيون يحيون ذكرى الرئيس الحكيم في البلد الذي ولد فيه وفي كل فرصة سانحة ، وقد بعثت نفخة الحرب عدداً لا يحصى من الموتى ، وبينهم وودرو ولسن الذي أشرق مجدداً في أذهان الأميركيين وأخذت آراؤه وكلماته تتردد على الأفواه والأقلام مستعيدة بهجتها ورونقها ، ورأى حتى الذين أنكروه ماكان من بعد النظر في قوله : لا ينبغي أن يسود العالم توازن قوى بل مجموعة قوى موحدة ، ولا منافسات منظمة بل سلام عام منظم .

لقد نشأ ولسن في الولايات الجنوبية ، وكان عمره تسع سنوات لما وضعت الحرب الأهلية أوزارها ، فشبَّ في مناطق تبدو فيها الحياة أكثر مشقة وصعوبة ، ولا سيما بسبب الفقر الذي ضرب فيها بجرانه في السنوات الأولى بعد الحرب ، وما يعترض العمل من عقبات سياسية واجتماعية ، وبقيت آثار هذه النشأة مرتسمة على محياه ، وزاول ولسن صناعة التعليم حيناً ، وكان أستاذاً للتاريخ في جامعة برنستن ، وارتقى بعد ذلك منصب رئاسة الجامعة ، ثم انتخب حاكماً لولاية نيو جرسي ، فكان شعاره في المهمتين اللتين تقلدهما الحزم والنضال ، وتوجهت الأنظار إلى شخصية هذا الرجل القوية ، حتى فاز بانتخاب الرئاسة سنة ١٩١٢

فلا جدال في أن الرئيس ولسن كان فيلسوفاً اجتماعيًّا ، ولا جدال في أنه لم تكن تخفى عليه خافية من أوضاع الدولة في الولايات المتحدة ، وأتم برهان على ذلك ما حواه برنامجه التشريعي الذي أعدَّه في النصف الأول من مدة رئاسته ، وأول شيء أقرّه هو أن الزعامة الحزبية من المهام الأولى التابعة للرئاسة ، وهي حقيقة أقرَّها وطبقها كل رئيس قوي ، لكنها لم تعلن صراحة من لدن أحد قبله ، وخلال السنتين الأوليين أحدث تغييرات في نظم الولايات المتحدة السياسية والاجتماعية والاقتصادية هي في الحقيقة إصلاحات عبقرية... وكان عند ما يجمع رأيه على شيء يعتقد فيه الصلاح يتشبث به ولا يحول عنه قيد شعرة ، وكان ينفذ ببصره إلى دقائق الأمور الادارية ويُدهِش بمعرفته أسرارها ، والمصلحة العامة هي رائده الوحيد ، ولا يبالي ما صنع في مقاومة خصومها ، وفي هذه الكلمة ما يترجم عما تنطوي عليه نفسه : يجب علينا أن نرتاب بكل رجل يريد أن يتخذ جهود البلاد وحاجاتها وسيلة لمآربه وزيادة ثرائه ، وأن نسهر حتى لا تكون فتنة ولا تبث مكيدة تفسد نظامنا وتضير شعبنا ، وأن لا ندع سبيلا للحيلة ولا للرشوة تنفذان منه إلى حكمنا وإدارتنا . وكذلك قوله : المصلحة لا تؤلف بين الرجال بل إنها تفرقهم ، فمتى حدثت ثغرة في المصالح التي كانت متفقة ، فان عواطف الحسد تهب على الأثر وتجر من ورائها الجرائر ، أما الذي يجمع بين الناس ويؤلفهم فهو إخلاص مشترك لمبادئ الحق الكبرى ، وقد أخذ الرجال يبحثون منذ لاح فجر الحرية عن حقوقهم ، ومضت مئات السنين حتى أصبح الواجب العنصر الأول للحق ، والشرط الذي يدرك به الانسان حقه ، هو أن يقوم قبل كل شيء بواجبه .

لقد حالت حرب سنة ١٩١٤ دون تحقيق ما كان يريده لبلاده ، ولكن انقياده لخوض غمراتها جعله يفكر في تطبيق قواعد الحق والواجب في علاقات الأمم بعضها ببعض ، وفي حماية السلم واجتناب كوارث الحرب ، ومن الخطأ أن يظن أن المنازعات الحزبية هي التي كانت السبب في معارضة أمته لمناهجه ، فان الولايات المتحدة قد خرجت من الحرب وهي أكثر مالاً ، وأعز جانباً ، واختباراتها تدلها في مدى مئة سنة على أنها ليست معرضة لخطر ، ولا تدفعها حاجة لاتخاذ التدابير لحماية السلام والطمأنينة في جميع أقطار الأرض ، وهي تعتقد أن قوتها كافية لسد حاجاتها ، وأن أوربة ستظل مفتقرة اليها ، وقد اكتفت من الحرب بالظفر ، وخرجت تمرح في جلابيب الغبطة والتفاؤل ، لم تستقر في نفوسها تلك الحكم البالغة التي أنشأتها مصائب الحرب ومخاوف المستقبل ، وكانت عصبة الأمم في نظرها

مثلاً أعلى لا يستطاع تحقيقه وحل مشكلات العالم المقبلة بوسائله، فأميركة تنشد النصر وهزيمة ألمانية الجبارة ولا تبالي ما يجري بعد ذلك، والرئيس ينشد النصر ويريد أن يربطهُ بإقامة النظام الجديد . وكانت عصبة الأمم يمكن أن تصبح أداة الاصلاح لو أنها أمدت بالقوة الكافية وهذه القوة ما كانت لتجد تأييدها المعنوي عند قاض غير مكترث، بل عند أمة كالولايات المتحدة التي رفضت أن تشترك في العصبة، ففقدت منذ تلك اللحظة، نصيبها من النجاح. لقد أخفق ولسن خطته لا لأنه كانت تنقصه الحكمة — كما ادعى بعضهم — ولا لأنهُ لم يستطع أن يغير نفسه، بل لأن بلاده كانت في حال لا يمكن تغييرها، ولم تكن فيها الكفاية للاضطلاع بالعبء العظيم الذي ألقاه على عاتقها، وهو لم يكن يستطيع أن يعمل أكثر مما عمل، كالرجل القوي الذي ذكر في أساطير اليونان وقدر لهُ أن يغالب القدر الذي لا يغلب، ولو كانت لديه من المقدرة في علم النفس بقدر ما كان عند الرئيسين تيودور روزفلت وفرنكلن روزفلت، لبقي كذلك من المحتمل أن يكون معرضاً للخطأ والإخفاق، لأن عجز الولايات المتحدة عن فهم ضرورة إنشاء عصبة الامم كان شيئاً متأصلاً فيها، ولا يمكن إزالته مهما يبذل الداعي إلى ذلك من ضروب المهارة والحذق، وإذا كانت حجة ولسن أقل قوة وصلابة، فان نفوذه المعنوي كان أعظم أثراً وأبعد غاية، وإذا كان قد أخطأ فذلك لأنهُ كان يعرف الكتب أكثر مما يعرف الرجال، وكان كثير الاعتماد على حرية الفكر، حتى إنه أراد أن يجرد العقل من العاطفة، وفي الحق أن كثيراً من العلماء يخطئون .

على أن كل ما يقال في أغلاط الرئيس ولسن قد طوي معهُ في لحده، ولا تستطيع أن تبعثه الصرخات المدوية المنبعثة من أرجاء العالم، وليست الشخصية القلقة أحياناً هي التي تخلد الآن في النفوس، ولكن الرجل السياسي الذي كان يسعى، كما قال، لمواجهة الحقائق وحدها ويجتنب مظاهر المجاملة المزخرفة، والذي أراد أن يخرج السياسة الدولية من أساليب التسلط والإرهاب والدسيسة والخداع والاستئثار، ويدخل في خططها وتقاليدها شيئاً أمنع من القوة وأجل من المنفعة وأثبت من سياسة التوازن وعقودها الملزمة، شيئاً يفصل في الخصومات ويحمي حمى السلام ويصون حقوق الشعوب ويساوي بين الأقوياء والضعفاء : ذلك هو الحق العام الجديد الذي ما زالت تحن اليهِ الانسانية كما تحن إلى الخيالات والأحلام والأماني، والذي لا تطلع شمسه فجأة — كما قال ولسن — ولكن تسير على مهل فتبدد الظلمات حتى تملأ الكون بضيائها .

الدين والفلسفة

نتيجة البحث (*)

محمد يوسف موسى

لقد انتهينا أخيراً مما أردنا من بيان معنى الدين والفلسفة ونشأتهما ، والصلة الطبيعية بينهما ، وما كان بين ممثليهما من خصومة سجلها التاريخ ، وما كان من محاولات الفلاسفة للتوفيق بينهما . فبعد هذا كله ننتقل إلى المسألة الأخيرة من هذا البحث ، أعني إلى الرأي الذي نرى في الصلة التي بين الوحي والعقل ، أو بتعبير آخر بين الدين والفلسفة ، إذ كانت هذه المسألة — ولا تزال — من المشكلات التي تشغل المفكرين الذين يعنون بالدين والفلسفة والمعرفة حتى هذه الأيام .

في رأيي أن هذه الصلة كان يجب أن تكون صلة تعاون في سبيل العلم وسعادة الفرد والمجتمع ، ما دام هذا هو جماع الغاية التي يهدف كل منهما إليها ، وما دام المرء لا يكاد يستغني بالوحي وحده أو العقل وحده .

الفيلسوف في حاجة ماسة إلى الدين ، يجد فيه برد اليقين والملاذ الأمين في الاعتقاد بالله ، والقدر خيره وشره ، واليوم الآخر وما يكون فيه من جزاء ينعم به الخيّر وإن كان بائساً محروماً في الدنيا . ورجل الدين في حاجة للتفلسف ، يعرّفه ما غمض من عقائده وقضاياه ؛ والعالم ونشأته ونظمه وغايته ، وما يتشوّف إلى فهمه في العوالم العلوية ، ويساعده على درك حلول كثير من المشكلات التي يجول فيها الفكر ولم يبينها الوحي حين كان ينزل بياناً شافياً لحكم رآها العليم الخبير . وبالاجمال ، أو بعبارة أخرى ، الفلسفة في حاجة إلى الدين لما ذكرناه ، ولما قد تجده فيه من تصحيح لبعض نظرياتها وبيان الحق والباطل منها ، والدين في حاجة إلى الفلسفة ليمكن لنفسه في العقول .

(*) انظر أعداد المقتطف من يناير الى يوليو ١٩٤٤

إذاً لم يكن ضرورياً — وربما لم يكن طبيعياً — أن تكون خصومة بين الدين والفلسفة، وكان طبيعياً وقد قامت هذه الخصومة أن توجد محاولات للتوفيق والجمع بينهما.

ومبدأ التوفيق في نفسه والعمل له حسنٌ وخير، ويقول به كثير من رجال الدين والفلسفة، فالغزالي يذكر أن بين المعقول والمنقول تصادماً في أول النظر وظاهر الفكر، وأن الذين خاضوا في ذلك التصادم صاروا فرقاً خمساً تبعاً للتعصب لهذا أو ذاك أو الوقوف بين بين، وأن الفرقة المحقة هي الفرقة الخامسة المتوسطة الجامعة بين البحث عن العقل والشرع والمنكرة لتعارضهما والتي عنيت لهذا بالتوفيق بينهما (١)

لكن هذه المحاولة للجمع أو التوفيق بين العقل والوحي تعتبر في رأينا ناجحة أحياناً ومخفقة أحياناً، أو كما يقول الغزالي أيضاً: «إن ذلك سهلٌ يسيرٌ في بعض الأمور. ولكن شاقٌ عسيرٌ في الأكثر» (٢) وليس الأمر مما لا يكون ولا يستطاع، كما أكد من قبل أبو سليمان المنطقي السجستاني محمد بن بهرام، للهوة التي لا يمكن اجتيازها في رأيه بين الدين المأخوذ بالوحي النازل والفلسفة المأخوذة من الرأي الزائل (٣)

نعم، ليس الأمر مما لا يستطاع البتة كما يرى السجستاني. ذلك بأنهُ — على سبيل التمثيل — يمكن التوفيق إلى حد كبير بين ما يذهب إليه الفلاسفة في مسألة العقول وما جاء عن الدين في مسألة الملائكة. إنهُ مما لا حرج فيهِ من ناحية الدين أن نرى في عقول الأفلاك ومنها العقل الفعال، أو الاسباب الثواني — كما يعبر الفارابي — التي هي أسباب وجود الأجسام السماوية وجواهرها، كائنات روحانية أو الملائكة التي جاء بها الدين، وأن نرى في العقل الفعال من بينها — الذي تفيض منه الحقائق على الفيلسوف والنبي — الروح الأمين وروح القدس الذي يتنزّل بالوحي بأمر الله على من يشاء من عباده (٤). من الممكن أن نقول هذا ونعتقده، فنكون قد وفقنا في هذه الناحية بين الوحي والعقل، على ألاَّ نتقيد بما ذكره الفلاسفة من عدد لهذه العقول، وعلى ألاَّ ننسب اليها شيئاً من التصرف إلاَّ باذن ربها الذي يجعلها وسائط بينهُ وبين خلقه، وأسباباً لتدبير ما يشاء من أمور، كما جعل العالم الأرضي محكوماً بنُظم وقوانين تسيِّره باذنه على مقتضى حكمته.

---

(١) قانون التأويل للغزالي، طبع مصر عام ١٩٤٠، ص٦—٩ (٢) المصدر نفسه ص ٩

(٣) المقايسات للتوحيدي، نشر الاستاذ السندوبي بمصر عام ١٩٢٩ م، ص ٤٧، ٤٩

(٤) السياسات المدنية للفارابي ص ٣، طبع حيدر آباد عام ١٣٤٦هـ.

ونذكر في هذا مثالاً آخر لم يتقدم له ذكر أيضاً ، وهو مسألة قِدَم ما قال به الفلاسفة من العالم قدماً زمانيًّا ، تلك التي كانت من المسائل التي كفّر بها الغزالي الفلاسفة . أعتقد أن الأمر هنا مزلقة ومن الخطر الخوض فيه ، ولكن مع هذا أشير إلى رأي يذهب اليه بعض المفكرين قد يكون الحق أو قريباً منه ، وقد يكون فيه تخفيف من عنف الخصومة بين الدين والفلسفة، هذا الرأي هو أن القول بما ذهب الفلاسفة إلى قدمه من العالم قدماً زمانيًّا قول لا ينافي الدين ، ولا يتعارض والحديث المروي عن الرسول صلى الله عليه وسلم : « كان الله ولا شيء معه » .

ذلك بأن أشد ما حاول حجة الإسلام الغزالي إلزام الفلاسفة به في هذه المسألة ، هو أن الذهاب إلى هذا يسلب عن الله الإرادة والاختيار ، ما دام هذا الذي يقال بقدمه زمانيًّا من العالم قد وجد عن الله تعالى ومعه في الأزل ، بلا فترة يتحقق معها الاختيار والإرادة. ولكن إذا أمكن أن نقول إن الله الغني بذاته عن كل ما سواه في إيجاد العالم ، العليم بعلم انكشف به كل شيء أزلاً ، المريد بإرادة لا تحتاج البتة إلى ما تحتاج إليه إرادة المحدثين من تروّ بتقليب للأمر على وجوهه يأخذ بعض الزمن وإن قلّ — إذا أمكن أن نقول إن الله تعالى الذي هذا شأنه وتلك صفاته ، قد أوجد فيما لا يزال ما يقال بقدمه من العالم من غير حاجة إلى ما نحتاج إليه من زمن نتروى فيه ونختار ثم نريد ، أمكن أن يقال إنهُ أوجده وهو في أعلى مراتب المختارين المريدين ، ولا يكون في القول بهذا إلحاد في الدين أو كفر . وبخاصة والعقل يتصوّر فاصلاً مّا ، بين وجود الله ووجود هذا العالم عنه ، يتحقق فيه الاختيار والإرادة من جانب الله الذي جلّ وتعالى عن الحاجة إلى زمن يتروّى فيه ويختار ، كما يتصور العقل فترة بين حركة الأصبع وحركة الخاتم التي وجدت عنه .

إني لا أقول إن هذا الرأي الذي يذهب إلى قدم ما يقال بقدمه من العالم قدماً زمانيًّا على هذا الوجه هو الحق ، ولا أقول إن هذا هو ما أعتقده ، ولكن أقول إنهُ بعد أن يتبين الباحث التفرقة بين القدم الزماني والقدم الذاتي ، وأن الذهاب إلى الأول لا يستلزم الذهاب إلى الثاني ، لا يكون كافراً ولا ملحداً إن أداه نظره واجتهاده إلى القول بالقدم الزماني مع الفلاسفة والإعراض عن القول بالحدوث الذي قال به المتكلمون ، وغاية ما في الأمر أنهُ قد يقال عنه إنه اجتهد وأخطأ فهو معذور ولا ضير في ذلك عليه .

ومهما يكن من الأمر ، فإنا إذا قررنا أن الجمع بين الوحي والعقل ممكن أحياناً ، وآية هذا ما ضربنا من مُثُل ، وما كان من الفلاسفة في هذا السبيل ، فاننا لا نستطيع أن نقرر

أن ذلك ممكن دائماً في كل ما يظهر تعارضه بين الدين والفلسفة ، لا نستطيع هذا إلاَّ إذا أغمضنا النظر عن بعض ما جاء بهِ الوحي مما لا يسلك مع مقررات الفلسفة في قرن أو أوّلنا بعض نصوصه تأويلاً تعسفيـًّا تنبو الأفهام واللغة عنه . ومن المثل لهذا الضرب مسألة النبوّة والمعجزات التي تقوم في الدين على الوحي وخرق القوانين الطبيعية ، على حين أن الحال في نظر الفلسفة — كما ذكرنا من قبل — لا يعدو أمراً طبيعيـًّا معقولاً يتم بصنيع النبي وكسبه بعد أن يعدّ نفسه له ، وشتان بين النظريتين ، وعسيرٌ بل متعذر الجمع بين الرأيين !

هذا وربما كان من أهم المبادئ التي قررها الفلاسفة للتوفيق بين الوحي والعقل اعتبار أن الدين له ظاهر وباطن ، ولكلٍّ أهله ، وهو مبدأ يحسّهُ كل منا وليس من الحق إنكاره أو دفعه ، كما أن له ما يعضده من أقوال جماعة من السلف .

روى البخاري أن عليـًّا رضي الله عنهُ قال : « حدّثوا الناس بما يعرفون ، أتريدون أن يكذَّب الله ورسوله ! » كما أُثِر عنهُ أنهُ كان يتألم مما يحبسه من علمٍ لا يجد حَمَلةً له ، وفي هذا يقول وهو يشير إلى صدره : « إن ههنا علوماً جمة لو وجدت لها حَمَلة[1] » . ومن ثمَّ كانت الحكمة التي يتداولها الناس : « ليس كل ما يعلم يقال ، ولا كل ما يقال جاء وقته ، ولا كل ما جاء وقته حضر ناسه » .

***

وأخيراً ، أحب أن أختم هذا البحث بالقول بأن الجمع بين الوحي والعقل — أو التوفيق بين الدين والفلسفة — من المطامع العصية ، وبأن السبيل اليهِ شاقٌّ وعرٌ ، فلنسر فيهِ إذاً على حذر . ذلك بأن نجعل أولاً ما جاء بهِ الدين من حقائق لا لبس فيها من الأسس التي يجب التمسك بها وإن خالفها رأي هذا الفيلسوف أو ذاك . ومثلها في هذا مثل ما يؤدي اليهِ النظر البرهاني الصحيح ، النظر الذي يحدث العلمَ اليقيني ، والذي يوجب لهذا تأويل ما يعارضهُ في الظاهر من النصوص ، فان الحق — كما يقول بحقٍّ ابن رشد — لا يضاد الحق ، بل يوافقه ويشهد له . بذلك نكون أدنى إلى التوفيق ، وأقرب إلى إصابة الحق . والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

---

(١) الذريعة للاصفهاني ، الطبعة الثانية بمطبعة الوطن ، ص٨٧ .

عمر الخيام كما أعرفه

- ٧ -

بعث الخيام الى الشرق

في مصر

لمحمود المنجوري

لما أخرج الشاعر الرقيق وديع البستاني في فبراير سنة ١٩١٢ طائفة من شعر الخيام عن فتزجرلد في نشيدين عربيين ، قدمها بقوله : « أريد بالسباعيات هذين النشيدين اللذين عنيتُ بتضمينهما رُوحَ الخيام التي ضمنها رباعياته ، وعساني لم أظلم تلك الروح بنقلها من بيت فارسي إلى بيت عربي ، بل من رباعية إلى سباعية ، فعهدي باللغتين شقيقتين تتبادلان مواطن الأفكار ومساكن الخيال » وفي الحق أن البستاني لم يظلم الخيام في شيء ، بل إنهُ أسدى اليهِ وإلينا خدمة مشكورة ، وستبقى لهُ يد السبق دائماً ، إذ بعث الخيام إلى الشرق بعد رقدة طويلة كاد يطويه الزمن فيها طي النسيان .

وترجمة البستاني ليست تطابق المتن الفارسي في شيء ، لأنها منقولة عن الإنجليزية ، والإنجليزية قد تصرفت تصرفاً في الوضع جَمعَ من الرباعيات المتناثرة تناثر الوحي العابر ملحمة منظومة العقد ، فليست هي بترجمة تحدد كل رباعية بمعانيها في شكلها ووحدتها ، ولكنها ترجمة استجابت لوحي الخيام وروحه وإلهامه ، وحرصت على المعالم الفنية الأدبية والفلسفية للأهداف التي كان يرمي اليها عمر الخيام على وجه عام ، ومن ترجمة البستاني قوله :

أمس أبصرتُ جارنا الخزّافا يجبلُ الطينَ كيف شاءَ اعتسافا

ويكيل المقدار منه جُزَافَا

وكأني أُسْمِعْتُ بين يديه صوتَ ذاتٍ مظلومةٍ تشتكيه

آه رفقاً فأنت طينٌ وماءٌ أيها المرءُ لا تسمني العذابا

بدا هذا القبس في الأفق المصري في فبراير سنة ١٩١٢ ، فلفت أبناء الأدب العربي إلى ما في الأدب الفارسي الشقيق من ذخائر ، وإلى ما لعمر الخيام الرياضي الفلكي من شعر فلسفي رائع ، فأقبلوا على رباعياته قراءة ودراسة وترجمة ، فانبرى المرحوم الأديب محمد السباعي وترجم ١٠١ رباعية عن الانجليزية في شعر رصين ليس له ما لترجمة البستانيّ من عذوبة ورقة ووداعة ، ولست أستطيع أن أقبل هذه الرباعيات ترجمة حريصة في أدائها للصور الصحيحة التي أرادها الخيام ، فقد لعبت بها يد الصنعة ، واستبقت اليها ألوان من الشعر العربي الخالص ، فجاءت صورة لشعر عربي يمكن أن يرد إلى عهد الشاعر ابن وكيع الذي قال :

غرَّد الطيرُ فنَبِّه من نَعَسْ وأدر كأسك فالوقت خُلَسْ

سلَّ سيفُ الفجر من غمد الدجى وتعرَّى الصبحُ من ثوب الغَلَس

وانجلى عن حُلَلٍ فضيةٍ نالها من ظُلَم الليلِ دنسْ

وعفا الله عن السباعي الذي قال إنهُ ترجم الرباعية الأولى للخيام في قوله : (١)

غرد الطير فنبه من نعس وأدر كأسك فالوقت خلس

سلّ سيفُ الفجر من غمد الغلس وانبرى في الشرق رام أرسلا

أسهم الأنوار في هام القلاع

فلا يزال ابن وكيع يطالب السباعي حيث هما الآن بشعره وقد اتخذ الخيام حكماً ليقضي له بحقه !

فترجمة السباعي ترجمة غلبت عليها صور الشعر العربي ومعانيه أداءً ومذاقاً ، ولم تخل من الصنعة اللفظية والاقتباس الذي باعد بين الترجمة والأصل الفارسي .

ولعلَّ ترجمة السباعي لم ترق أنصار المدرسة الحديثة ، فاجتمع الرأي بين طائفة من الأدباء في سنة ١٩٢٣ ، على أن أقوم بترجمتها نثراً ، تحرراً من قيود النظم وأوضاع النقل ، فعكفت على الترجمة عن نسخة أوزلي وعن نسخة اعتمدها المستشرق الألماني الدكتور

---

(١) ص ٣٣ الصراف ط دار السلام

فردريخ روزن ، وقد راجع الترجمة يومئذٍ أستاذنا المرحوم محمود مراد ونشرت طائفة منها في مجلة المحاسن بالقاهرة .

وتقدم إلى الأصل الفارسي الأستاذ أحمد رامي فترجم الرباعيات نظماً سنة ١٩٢٤ (١) فكانت محاولة موفقة من شاعرنا المغرّد زاد في قيمتها المراجع التي ذيلها بها في الطبعة الثانية التي نشرها سنة ١٩٣١ ، وإن هذه الطبعة لتكون وافية لو أن الأستاذ رامي نشرها مع المتن الفارسي . ومن ترجمة رامي قول الخيام :

سمعت صوتاً هاتفاً في السحر نادى من الحان : غُفاةَ البشَر
هُبوا املأوا كأس الطلا من قبْلَ أن تفعم كأسَ العمر كفُّ القدر

***

أين النديم السمح أين الصبوح فقد أمضَّ الهم قلبي الجريح
ثلاثة هُنَّ أحبّ المنى خمرٌ وأنغامٌ ووجهٌ صبيح

***

ولقد نظم الدكتور أحمد زكي أبو شادي ١٣٠ رباعية في سنة ١٩٢٨ معتمداً في نظمه على ترجمة نثرية عن الفارسية لشاعر العراق المرحوم جميل صدقي الزهاوي وقد نشرها كاملة سنة ١٩٣١، ومنها قوله :

لا تظننّ أنني من يخاف الـ ـناس أو قسوة المنية أخشى
لست أخشى حقيقة الموت لكن أنا أخشى أني أسأت العيشا ؟

***

ولقد عثرت في ديسمبر سنة ١٩٤٣ أثناء بحثي عن مراجع الأدب الفارسي في خزانة المرحوم نور الدين بك مصطفى (٢) بمدينة حلوان على ترجمة له مخطوطة للرباعيات ، ترجمها عن الفارسية نظماً إلى العربية والتركية مع المتن الفارسي ، ولقد تركها نور الدين بك مبعثرة

(١) عن نسخة المستشرق نقولا التي نشرها عن مخطوطة طهران .

(٢) ولد نور الدين بك مصطفى سنة ١٨٨٣ بمدينة أهريدا من أعمال يوغسلافيا وتوفي بالقاهرة سنة ١٩٢٨ ، وكان وكيلا لديوان الاوقاف ، كما كان شاعراً في اللغات الثلاث التركية والفارسية والعربية ، وهو صاحب دائرة المعارف الطورانية في أربعين مجلداً وهو جهد منقطع النظير لا يزال ينمي صاحبه مخطوطاً في مكتبته ، وله دواوين في الشعر العربي والتركي والفارسي منها : نور الالهام وأوهامي والبستان وغيرها وترجم اللزوميات وقصص لافونتين الى التركية .

بين أوراقه وتحفه واستطاع نجله الدكتور محمد نور الدين الاهتداء إلى ١٢٠ رباعية ، وقد ظهر لي من مراجعتها أن نور الدين بك حقق منها ٨١ رباعية قطع بصحة نسبتها إلى الخيام .

ومن ترجمته قول الخيام :

لك الشكر مني يزَوّد مَنَّكْ فكيف أعيش لأقضي دَيْنَك
فِعالِي سوءٌ فتجزى بسوءٍ ؟ فما الفرق يا رب بيني وبينك !

***

ثَوْرٌ يقال كأنهُ تحت الثرى وكذاك ثَوْرٌ في النجوم منوّرا
أنا ما رأيتهما ، ولكن في الورى آلاف حُمر صرتُ بينهما أرى

وأغلب الظن أن هذه الترجمة كانت تنتظر مراجعة من صاحبها لولا أن المنية عاجلته .

وفي مصر في أوائل عام ١٩٤٤ ظهر لون جديد لترجمة رباعيات الخيام أخرجهُ الى العامية شيخ الزجالين وإمامهم الأستاذ حسين مظلوم رياض فسكبها في ثلاث أناشيد ، جاءت مثالاً للأدب العامي الرفيع ، على أنه يلوح لنا أن الاستاذ مظلوم قد تأثر بناحية من نواحي الخيام الفلسفية ، فطبع زجله بطابع التصوف ، وحمل جميع المعاني المختلفة التي وسعتها الرباعيات على أنها من وحي الصوفية الخالصة . وليس الأستاذ مظلوم هو وحده الذي وقع في هذا الظن بل إن كثيراً من أهل التصوف في عصورهم المختلفة قد أدخلوا الخيام في زمرتهم وتغنوا برباعياته في أناشيدهم وفي مجالسهم ، ولقد أشار الوزير جمال الدين القفطي المتوفى سنة ٦٤٦ هـ الى ذلك فقال : « وقد وقف متأخرو الصوفية على شيء من ظواهر شعره فنقلوها إلى طريقتهم وتحاضروا بها في مجالسهم وخلواتهم ، وبواطنها حيّاتٌ للشريعة لواسع ، ومجامع للاغلال جوامع ، ولما قدح أهل زمانه في دينه ، وأظهروا ما أسره من مكنونه ، خشي على دمه ، وأمسك من عنان لسانه وقلمه ، وحجّ متاقاة لا تقية ، وأبدى أسراراً من السرار غير نقية . . »

ولهذا أرى أن ترجمة الأستاذ مظلوم ، وإن دلت على مكانة وقدرة بالغة في هذا اللون الرفيع من الأداء ، لا تصور الخيام كما أراد الخيام أن يكون ، بل صورت الخيام كما أراد الأستاذ مظلوم أن يفهمه وهو متأثر بجلال الفكرة الصوفية وسموها وخلود المعاني الروحية الخالصة المستقرة في قلوب أهل الصوفية الواصلين .

المآصر في بلاد الروم والاسلام

- ٦ -

لميخائيل عوّاد

المآصر في البلاد المصرية

مصر العزيزة « إقليم قديم جليل عظيم ، جسيم العائدة في سالف الزمان ، كان قديماً قُعدَد الملك يسكنه عظام الفراعنة وكبار الجبابرة [١] » ، و « هو الاقليم الذي افتخر به فرعون على الورى [٢] » .

ومصر بلد الفضائل والمحاسن ، والطلسمات والعجائب ، والكنوز والدفائن . أما فضائلها فكثيرة ، « منها أن الله عزّ وجلّ ذكرها في كتابه العزيز بضعاً وعشرين مرّة ، تارة بصريح الذكر ، وتارة إيماء [٣] » ، وهي من الخصب وسعة الرزق على درجة عظيمة « بدليل قوله تعالى مخبراً عن قوم فرعون : (كم تركوا من جناتٍ وعيونٍ وزروعٍ ومقامٍ كريمٍ ونعمةٍ كانوا فيها فاكهين) [٤] »

وأشير في غير موطن من العهد القديم إلى خصب أرض مصر وغزارة محاصيلها ، ففي سفر التكوين (١٣ : ١٥) ، قال الله تعالى لابراهيم عليه السلام : (إنّ جميع الأرض التي تراها لك أعطيها ولنسلك إلى الأبد) وجاء في سفر الخروج (١٦ : ٢ — ٣) : (فتذمّر كل جماعة بني إسرائيل على موسى وهرون في البرية . وقال لهما بنو إسرائيل : ليتنا متنا بيد الربّ في أرض مصر حيث كنا نجلس عند قدور اللحم ونأكل من الطعام ، شبعنا فلم أخرجتمانا إلى هذه البرية لتقتلا هذا الجمهور كله بالجوع) .

---

(١) صورة الارض (ص ١٣٥)　(٢) أحسن التقاسيم (ص ١٩٣)
(٣) خطط المقريزي (١ : ٣٥)　(٤) صبح الاعشى (٣ : ٢٨٢)

وفي سفر العدد (١١ : ٥) ، قال بنو إسرائيل : (فقد ذكرنا السمك الذي كنا نأكله في مصر مجاناً ، والقثاء والبطيخ والكرّاث والبصل والثوم)

« ومصر خزائن الأرضين كلها : (وآويناهما الى ربوةٍ ذات قرار ومعين) ، وسلطانها سلطان الأرضين كلها ، ألا ترى إلى قول يوسف عليه السلام لملك مصر (اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم) [١] »

ومن ثمَّ أصبحت « خزانة أمير المؤمنين التي يحمل عليها حمل موءنة ثغوره وأطرافه ، ويقوَّت بها عامة جنده ورعيته مع اتصالها بالمغرب ومجاورتها أجناد الشام [٢] »

أمّا محاسنها فلا جرم « أنها مع ما اشتملت عليهِ من الفضائل، وحُفَّت به من المآثر أعظم الأقاليم خطراً، وأجلها قدراً، وأفخمها مملكة، وأطيبها تربة، وأخفها ماء، وأخصبها زرعاً، وأحسنها ثماراً ، وأعدلها هواءً ، وألطفها ساكناً. ولذلك ترى الناس يرحلون اليها وفوداً، ويفدون عليها من كلّ ناحية ، وقلَّ أنْ يخرج منها من دخلها ، أو يرحل عنها مَن ولجها، مع ما اشتملت عليهِ من حسن المنظر، وبهجة الرَّونق ، لاسيما في زمن الربيع ، وما يبدو بها من الزروع التي تملأ العين وسامةً وحسناً ، وتروق صورةً ومعنى » [٣]

قيل : « من أراد أن يذكر الفردوس ، أو ينظر الى مثلها في الدنيا فلينظر الى أرض مصر حين يخضر زرعها وتنور ثمارها ، وقال كعب الأحبار : من أراد أن ينظر الى شبه الجنة فلينظر الى مصر إذا أزهرت » [٤] .

ومصر « فرضة الدنيا ، يحمل خيرها الى ما سواها ، فساحلها بمدينة القلزم يحمل منه الى الحرمين واليمن والهند والصين وعمان والسند والشحر ، وساحلها من جهة تنيس ودمياط والفرما فرضة بلاد الروم والفرنج ، وسواحل الشام والثغور الى حدود العراق ، وثغر الاسكندرية فرضة إقريطش وصقلية وبلاد المغرب . ومن جهة الصعيد يحمل الى بلاد الغرب والنوبة والبجة والحبشة والحجاز واليمن » [٥] .

ومصر هذه « إقليم العجائب ومعدن الغرائب، كان أهلها أهل مُلك عظيم وعزّ قديم ، وفيها من الكنوز العظيمة مالا يدخله الإحصاء، حتى يقال إنهُ ما فيها موضع إلاَّ وفيه كنز» [٦] .

---

(١) معجم البلدان (٤ : ٥٤٠) ، وخطط المقريزي (١ : ٣٧) .
(٢) معجم البلدان (٤ : ٥٤٧) (٣) صبح الاعشى (٣ : ٢٨٥)
(٤) حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة (١ : ٧ ، المطبعة الشرفية بالقاهرة)
(٥) خطط المقريزي (١ : ٤٣) (٦) صبح الاعشى (٣ : ٢٨٦)

ومن طريف ما قاله عبد الله بن عمرو بن العاص : « البركة عشر بركات ، في مصر تسع بركات ، وفي الأرضين بركة واحدة . والشرّ عشرة أجزاء ، بمصر جزء واحد ، وفي الأرض كلها تسعة أجزاء »(١)

أما خراجها فهو في مقدمة خراجات الأقاليم غزارة . قال ابن حوقل : « وجدتُ بخط أبي النمر الورّاق في أخبار أبي الحسين الخصيبيّ ، قال : حدثني أبو خازم القاضي ، قال : قال لي أبو الحسن بن المدبّر : لو عمرت مصر كلها لوفتْ بأعمال الدنيا . قال : وقال له إنه كان يتقلّد الدواوين بالعراق ، يريد ديوان المشرق والمغرب ، قال : ولم أبتْ قط ليلةً من الليالي وعليّ عمل أو بقية منه ، وتقلّدت مصر فكنت ربما بتُّ وقد بقي عليّ شيء من العمل ، فأستتمهُ إذا أصبحتُ . . . . » (٢)

وقال غيره إنّ « خراج مصر وحدها يضعف على جميع خراج الروم ، وحمل منها موسى ابن عيسى في دولة بني العباس ألفي ألف ومائة وثمانين الف دينار »(٣)

فلا عجب أن تكون مصر وهي مالكة هذه الصفات العديدة ، والنعم العتيدة ، محط أنظار الأمم ، من فرس وروم وفرنج وغيرهم ، ومعقد آمالهم وأمانيهم ، فطمع فيها الطامعون في السنين السالفة ، وغزتها الجيوش غير مرة ، فعاثت بأرضها فساداً .

وكانت المدن المصرية في كل هاتيك الغزوات تعاني شدائد الحصار ، خاصة ما توسد منها ساحل البحر ، مما اضطرها إلى دفع الخطر المتوقع في كل آن ، بكل ما أوتيته من حيلة ووسيلة . فأقام أصحابها الأسوار المنيعة حولها من طرف البر ، ومدوا السلاسل الحديد (المآصر البحرية) ذات الأبراج الرصينة في موانيها من طرف البحر ، فأضحت منيعة لا ترام ولا يوصل اليها .

وكانت دمياط والاسكندرية والسويس وهي مفاتيح مصر ، أعظم الثغور ذات المآصر البحرية ، ولعلها نصبت في رشيد والبرلس وتنيس والفرما وشطا وأخنا ، وغيرها من المدن الساحلية ، غير أننا لم نقف فيما بين يدينا من مصادر على نص صريح يشير إلى ذلك .

(١) مختصر كتاب البلدان (ص ٥٧) ، وحسن المحاضرة (١ : ٩)

(٢) صورة الارض (ص ١٣٥) ، وانظر معجم البلدان (٤ : ٥٤٦) ، وقد تصحف اسم القاضي فيه الى « أبي حازم » بالحاء المهملة ، خلافاً لسائر المراجع . وهو عبد الحميد بن عبد العزيز . انظر أخباره في تاريخ الطبري (٣ : ٢٢٠٧ ، ٢٢١١ ، ٢٢١٢ ، ٢٢١٥ ، ٢٢٢٢) وفي ملحق الولاة والقضاة للكندي (ص ٥١٩ طبعة كست)

(٣) مختصر كتاب البلدان (ص ٧٦) .

شيروود أندرسن

ترجمة مقال بقلم

السيدة نلي فوشيه زنانيري

مثله كمثل كثير من إخوته في الأدب ، نشأ في أسرة رقيقة الحال ، وشقَّ طريقه إلى المجد والشهرة عصاميًّا عتاده العزم والمثابرة .

ولد سنة ١٨٧٦ في ولاية أوهايو ، وكان والده سروجيًّا ميالاً إلى الترحل ، يتنقل من بلد إلى بلدٍ في الولاية ، ولكنه لم يوفق في حياته المعيشية توفيقاً مرضيًّا . وكانت والدته إيطالية الأصل ، على جانب من وسامة الطلعة وبسالة النفس . وقد توفيت في مقتبل عمرها بعد أن أعقبت سبع بنين . وقد اضطرَّ هذا الصغير من أبنائها أن يحاول كسب القوت. وعلى الرغم مما كان يتصف به من ذكاء وهمة لم يكن لديه متسع من الوقت يسمح له بمواصلة التعلم . فجعل يمارس أعمالاً شتى ، فمرة يبيع الصحف ، وتارة يبيع الفول السوداني أو حصاد البرسيم ، وحيناً هو صبي في إصطبل ، ثم هو عامل في الزراعة . وكان يتمكن من كسب بضعة دولارات في سباق الخيل وفي المشارب والمصانع . فإذا خلا له وقت بعد تطوافه في الشوارع وتردّده على الحانات ، انكبّ على القراءة متعطشاً منهوماً .

ولما شارف السابعة عشرة ، قدم شيكاغو ليجرب حظه ، وبدأ يتكسب بالعمل في مصنع ، وشعر بميله إلى الكتابة ورغبته في التعبير عن أفكاره . واتقدت بين جوانحه تلك الرغبة والميل ، حتى إن منظر الورق والمداد كان يترك في نفسه مثل أثر المخدِّر .

وقد أخذت بغضاؤه لعمل المصنع المتشابه تزداد رويداً رويداً ، فانخرط في سلك الجيش أثناء الحرب الاسبانية الأميركية ، وكان لحسن سلوكه أثر في إصلاح شأنه .

وحين رجع إلى شيكاغو استكمل خبرته العملية ، فالتحق بمكتب لنشر الأخبار ، وتمرّس فيه بأعمال هذا الفرع الصغير من الصحافة التي رأى فيها عوناً للكاتب على أن يخلق لنفسه شخصية .

وقد استهوته الأعمال بعض الوقت ، فأدار مصنعاً للتصوير في مسقط رأسه ، وأفاد

منهُ مالاً . ولـكنه لاحظ أن الأعمال الأدبية التي يقف عليهـا سويعات قليلة كانت تضر بانتاج مصنعه . وبينما كان يملي يوماً رسالة خاصة بالعمل غادر المصنع إلى غير رجعة .

وزاول بعد ذلك العمل في الصحافة والنشر، واجتهد أن يعلي من صيته ، وأن يكتسب ما يعيد بهِ إلى أصدقائه أموالهم التي فقدوها بعد أن كانوا قد أودعوها رصيداً في مصنعه .

وقد كان بادئ الأمر شاذ الأسلوب ؛ فلم يرض عنهُ أصحاب الصحف ، ولـكن الـكاتب الناشئ توالت عليه آيات التشجيع من أدباء مثل « تيودور دريزر » و « بن هشت » و « فلويد دل » .

وفي سنة ١٩١٦ نشر أولى رواياته « بن وندي ماك فرسن » . وفي سنة ١٩١٩ نشر مجموعة أخبار « ونسبورج — أوهايو » فطار في الجمهور اسمه .

ثم أقام في « نيويورك » وانضمَّ إلى طوائف الـكتاب ، واشـترك نشيطاً في مجلات أدبية وفنية وسياسية ، فـكان ما يكتبه موضع تقدير نقاد يؤخذ عنهم الرأي .

وفي سنة ١٩٢١ منح جائزة مقدارها ألفا دولار ، وضعتها جريدة « ذي ديال » فسافر إلى أوربة ، ولما رجع أقام في « أورليان الجديدة » نحواً من سـنة مع « وليام فوكنر » وبعد ذلك أقام في مزرعة في « فرجينيا » حيث أسس بماله الخاص جريدتين إحداها جمهورية والأخرى ديمقراطية .

وبمناسبة مروره بأوربة جاء في مذكرات « جرتروذ ستين » قصة هزلية تبين أسلوب صاحب تلك الشخصية المبتكرة : « زار شيروود أندرسن باريس هذا الشتاء ، وظهر بمظهر جذَّاب ، وكان يسلينا كثيراً بما يسلّي بهِ نفسه . ويجب أن أقرّ بأنهُ كان يتألق بطولة ولكن في شكل شاذ » . وجاء في موضع آخر : « كنا قد ركّبنا من مدة قريبة أجهزة التدفئة الـكهربائية حينما قدم شيروود أندرسن باريس ، فأقمنا له حفلة استقبال بمناسبة عيد الميلاد . وكانت الأجهزة ترسل حرارتهـا بقوة، حتى أصبح الجو حارًّا ، ولـكن الجمع كان مبتهجاً مسروراً . كان شيروود متشحاً بوشاح أحمر جديد كعادته ، فبدا غاية في الأناقة . وقد أقبل مع ولديه جان وأخته إلى باريس . وكان جان شابًّا بطيء الحركة خجولاً » .

وقد اتفق شيروود أندرسن وجرتروذ ستين على نقط عدة ، أهمها التأليف الأدبي . وعلى الرغم مما لشيروود من قلة المبالغة ومن زيادة الإيضاح فقد جرَّد كلاهما أسلوبه من الطابع الروائي الـكثير التطويل .

وقد تنوعت أعمال شيروود ، فمنها الروايات والأخبـار والتجارب ومقالات الصحف والمجلات وقصص الأفراد والمقطوعات الشعرية وقطع التمثيل والدراسـات الفنية . وبذلك تخصص أو كاد في جميع نواحي الانتاج الأدبي . فالتفت إليه عدد كبير من النقاد الاميركين والأجانب .

وهو روائي ذو ضمير حي . ولذلك عني بصفة خاصة بتصوير التجارب اليومية المتكررة لابطاله في شكل يظهر تضاربها . وهو حريص على تجلية الواقع ، يسعى في نقل حقائق الوجود إلى كتبه . ومع أن بعض مؤلفاته تعدُّ شروداً لفكره من الأوضاع الفنيـة ، فإنه يحق له القول بأن الروايات يجب انتزاع موضوعاتها من صور الحياة العادية ، وأن على الخيال المبدع ألاَّ يجعل له من غير منابع الواقع مستقى .

ولم يكن يعدّ الشؤون الاقتصادية والسياسية أو المسائل الخاصة بالاصلاح الاجتماعي مما يهتم به الروائي كبير اهتمام . وهو يقول : «أعتقد أن الروائي والمفكر شخصان مختلفان، فالروائي يرسم حيـاة عصره كما يشعر بها ويستنشقها ويتذوَّقهـا . وأما إيقاد الثورة فليس من شأنه » .

ولهذا استقى شيروود من تجاربه الشخصية موضوعاته جميعاً ، وفي مختلف رواياته كثير من الأشخاص — عرضهم في قصصه الخاصة بحياة الأفراد — يظهرون تحت ستار خفيف للواقع . وأبطاله في الغالب أحياء ذوو حس لا يرضون عند اكتشاف شخصيتهم المفردة ، وهم يهربون من البيئة التي أوجدتهم فيها الملابسات ، ويهيمون على وجوههم دون أن يخبروا من لهم صلة بهم باحثين عن حل لمشكلاتهم ، آملين أن يجدوا هـذا الحل بفصم جميع العرى التي تربطهم بماضيهم سواء أكان معززاً بأسرة يعولونها أم بضاعة يزاولونهـا . وأحياناً يكون اضطرابهم ناتجاً من عدم إيمانهم بأنفسهم ، فحين يجتذبهم هدف مثل حب امرأة كما في (ضحك عابث) أو فكرة اجتماعية كما في (الرجال العاملون) فإن قلوبهم تثوب إليها الطمأنينة .

وأسلوب شيروود يبسط بوضوح خاص الحالة النفسية لهؤلاء الأشخاص الحائرين المترددين . فالجمل المقتضبة أحياناً ، وتصوير العواطف المتتابعة دون أن يربط بعضها ببعض فكرة بينة ، وجميع المؤثرات المتتالية على حافة الخيـال والواقع — كل ذلك يمهد لقصصه جوًّا يجعل القارئ الحائر يستبين تخيلاته وأحلامه التي لم تـكد تتكوَّن في قلبه المعذب .

رقصة

لعدنان مردم بك

لشكاية الأوتار هينمة الرياح الصاخبه

أو خفقة من جانح أشجته دمعة ناحبه

فكأنما الأوتار حين ترل همسة عاتبه

ما هيج الداء الدفين كزفرة من نادبه

تتنازع القلب اللحون وتستبيح غواربه

وتثور عاطفة الهوى في كل صدر لاغبه

حتى ترى الإلفين معتنقين من حمى الصدورِ

مالت عليه كأنها غصن تعابثه الرياحُ

وبعينها من سورة الـ أحلام للهيمان راح

فافترَّت الشفتان عن أملٍ كما افترَّ الصباح

وتفتقت في صدره من لوعة الذكرى جراح

فأسفّ كالورقاء ها ض جناحها القدر المتاح

ويكاد يسبق لفظه من حرقة الشوق النواح

كتم اللسان ونمت الـعينان عن سر الضميرِ

دارا وفي صدريهما غصص وفي القلبين نارُ

ولغصة الشوق المبرح في ضلوعهما أوار

زنارها منه اليمين وطوقها منه اليسار

ولصدره عن نهدها من جامح الشوق اهتصار

ما كان من برح الجوى لهما على حال قرار

يتدافعان كموجة راحت تقاذفها البحار
وتراهما يتراجعا ن تراجع الطير الكسير

ترتد عنه إلى الورا ء من الدلال وتهرب
كالصب أوحشه من الماضي خيالٌ مرعب
هو ما تباعدت انبرى من جسمها يتقرّب
يسراه عالقة بيمناها فأين المهرب
ولها إذا أنست اليه تضرُّع وتعتب
همسٌ كمعسول المنى يسبي العقول ويخلب
واللفظ يقطر سلسلاً كتقاطر الماء النمير

انظرهما غردين لفهما الصبا بجناحه
فاستسلما لهواهما يتساقيان براحه
كلٌّ تعلق في ردا ء أليفه ووشاحه
كتعلق المذعور خو ف اليمّ في ملاّحه
أو كالطعين تمسكت يمناه في جرّاحه
ظمئانِ ليس لشوقها كبحٌ ولا لجماحه
قلقانِ مثل فراشتيـن تبارتا قرب الغدير

تلقاهما روحين في بدنٍ يحوطهما ذراعُ
نشر الهوى بُرديه فو قهما كما نُشر الشراع
وإذا تقضّى الفصل لا ح على وجوههما التياع
كمخبل نفث السقا م به وعاوده الصداع
أو طائر لما تملكه من الصياد باع
فالقلب يوحشه الفرا ق ويدمع العين الوداع
وإن استعيد العزف عا د اللحن موصول الصفير

دمشق

التّعريف والتّنقيب

نستحدث هذا الباب ونتبسط فيه إرادة أن نتدبر ما يتصل بقضايا الفكر وما يدخل في شؤون الذوق ، فنجريه إلى غايتين : إحداهما مراجعة بعض ما يخرج في العلم والأدب والفن كتابةً أو أداء ، والأخرى نشر ما انطوى من الضنائن المخطوطة أو المهملة . ومقصدنا أن يصبح هذا الباب مرجعاً للمستطلع السائل ومعرضاً للمستبصر الراكن . هذا ويشترك في إنشاء الباب نفر من أهل النظر وأعداء الهوى

بشر فارس

المشتمل

١ — الفنون الرفيعة

قلعة سمعان (مع صورتين)		بقلم	داود صليبا

٢ — الكتب

ألف ليلة وليلة	نقد	بقلم	وداد سكاكيني
بنت الشيطان	—	—	كامل محمود حبيب
ثمار المقاصد في ذكر المساجد	—	—	أحمد محمد شاكر
عَ الماشي	—	—	حسن كامل الصيرفي
معارك العرب في الشرق والغرب	—	—	محمد عبد الغني حسن

كتب ظهرت

٣ — المجلات

مجلة الحقوق		بقلم	حامد زكي
المشرق		—	*

٤ — الاستدراك

القاموس العصري		بقلم	الأب أنستاس ماري الكرملي

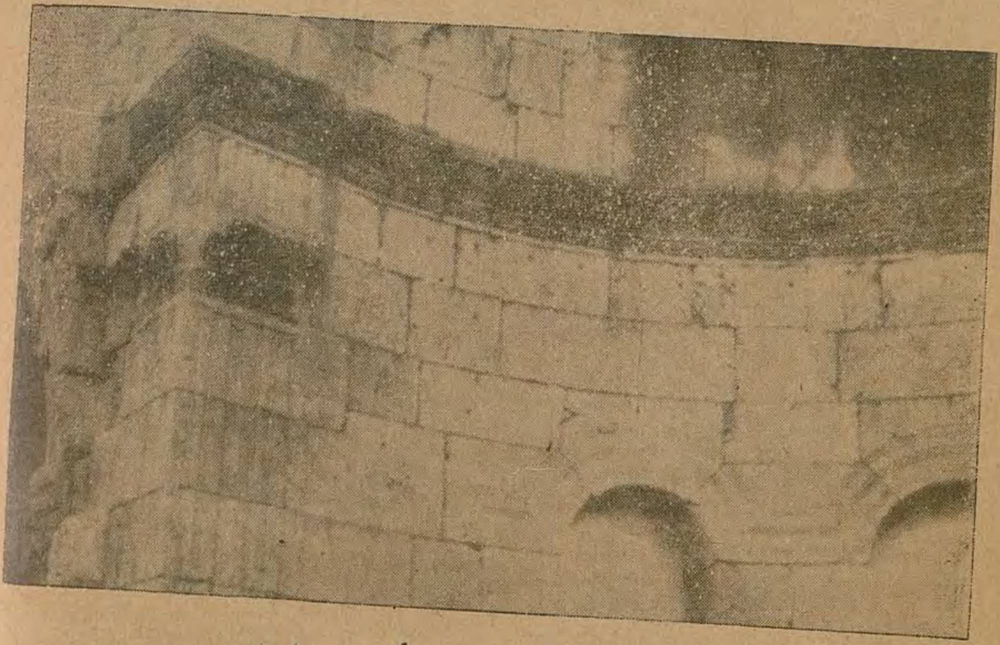

الجناح الشرقي : التزيينات في أواسط الحنايا

الكنيسة الشرقية : الحنايا من الفناء الخارجي

مقتطف أغسطس ١٩٤٤ ، ص ٢٦٣

(تصوير درونيان ، حلب)

١ - الفنون الرفيعة

قلعة سمعان

افتتح اليونان سورية في عهد الإسكندر سنة ٣٣٣ ق . م . ثم افتتحها الرومان سنة ٦٤ ق . م . وبقيت كذلك الى سنة ٣٩٥ م وفيها انقسمت المملكة الرومانية إلى إمبراطوريتين شرقية وغربية — فتبعت سورية المملكة الرومانية الشرقية المسماة البيزنطية ، وكانت عاصمتها القسطنطينية ، وبقيت كذلك إلى الفتح العربي سنة ٦٣٦ أي أنه مرّ على سورية عشرة قرون من القرن الرابع قبل الميلاد إلى أوائل القرن السابع بعده وهي مزدهرة تؤلف جزءًا من ممالك عريقة في المدنية .

كانت بلادنا مأهولة بالسكان أكثر مما هي عليه اليوم . وقد أثْرت من التجارة بين فارس والهند والصين وبلاد حوض البحر المتوسط . حكمها أباطرة يحرصون على الفن والترف وطبقة مثرية تبني القصور وتتنافس في تزيينها فكانت البلاد مسرح فن وعمارة .

وقد ساعد على انتشار البناء الحجر الكلسي الذي يسهل نحته والأشجار الكثيرة التي تنبت في الأمانوس ولبنان . وكانت سورية يغمرها الشعور الديني فشادت الكنائس الفخمة والقصور الشاهقة . وقد اكتسب المهندس السوري والصانع السوري خبرة فنية فائقة بعد بناء أنطاكية وتدمر وبعلبك فتابع عمله متابراً على خطته في الإبداع .

إن أكثر هذه الأبنية قام على أسلوب خاص يعرف بالأسلوب السوري وهو يتأثر بالفن الإغريقي في طراز بنائه وبالفن الفارسي باستخدام القباب والحنايا ، وبالفن البيزنطي في نقش الأعمدة وتزيينها .

وقد خشي السوريون أن ينصهروا في بوتقة المملكة البيزنطية فاندفعوا يشجعون الانقسامات الدينية واعتنقوا مذهب أصحاب الطبيعة الواحدة حفظاً لكيانهم . وكان هذا النضال الديني يستر نضالاً سياسيًا . ثم حافظوا على لغتهم فتغلبت الإرَمية على اليونانية ، ووسموا فنهم بطابع خاص واتسع نطاق هذا الفن فشمل مصر وآسية الصغرى وإفريقية حتى سواحل الادرياتيك في أوربة .

يقول بنوا Benoit في كتابه « فن البناء في الشرق » : « إن مهندسي سورية كانوا بنائين بارعين يفتشون أبداً عن الطريف ، وقد جمعوا بين خبرة اليونان ودقة الفرس » .

***

هذا وإن النسك قديم في طباع البشر ، فلما جاءت المسيحية أنشأ الرهبان الديارات فانفردوا في المغاور والقبور المهجورة واجتمعوا في البيوت . ومنذ عام ٣١٢ في عهد الانبراطور قسطنطين الكبير انتصرت المسيحية على الوثنية فخرج الرهبان من مخابئهم ولجأوا إلى أبراج وصخور مرتفعة .

وقد ولد سمعان العمودي سنة ٣٩٠ وترهب منذ صغره ثم عكف على العبادة والتقشف وانتهى به الحال إلى إحداث مذهب جديد ، فقد بنى عموداً ضخماً ووضع في رأسه لوحاً مربع الشكل وبنى عليه كوخاً من خشب ، وبقي كذلك عدة سنوات ، ثم أزال هذا الكوخ وتعرّض للحر والقر ، وبقي كذلك أكثر من ثلاثين سنة . وانتشرت طريقة سمعان في عصر يسيطر فيه الدين على عقول البشر وأقبل كثير من الرهبان على تقليده .

إن سمعان فرّ من العالم ونشد العزلة التامة ، ولكن سرعان ما ذاع صيته فأتاه جمٌّ غفير من الحُمْس للتبرك به ، وقد لحق بهم عدد كبير خرجوا للنزهة . وتلا هؤلاء عدد أكبر من المرتزقة أتوا للبيع والشراء ، وتحوَّل المنسك إلى مزار يزخر بالناس . فنشأت مدينة كاملة بأسواقها وقصورها وكنائسها وهي التي تعرف بدير سمعان على مسافة قريبة من القلعة ، وآثارها تدل على اتساعها .

جاوز صيت سمعان البلاد السورية واحتكم إليه البدو في خصوماتهم ، وأصبح قديساً يشفي المرضى فجاءته الوفود من أقصى البلاد المسيحية المعروفة في ذلك العصر من جرمانية وغالية وبريطانية وسواها . وتوفي سمعان سنة ٤٥٩ فوضع جثمانه في أسفل العمود ثم نقل إلى أنطاكية ودفن في كنيستها الكبرى .

رأى الرهبان بعد موت سمعان أن المكان تحوَّل إلى مزار تقصده قوافل الحجاج ، فبنوا كنيسة ضخمة أتموا عمارتها سنة ٥٠٠ ثم حصنوها بعد الفتح العربي فغلب عليها اسم « القلعة » . وظلَّ الرهبان معتكفين في الدير ، والحرب سجال على الحدود ولا سيما في عصر الحمدانيين ، يغير الروم على حلب ويغير عليهم سيف الدولة .

ذكر المؤرخ يحي بن سعيد « أنه في سنة ٩٨٢ استولى الروم على كلس وأوقعوا بجماعة من الحمدانيين وحاصروا أفاميه وقاتلوا أهلها اشد قتال وجاءوا إلى حلب . فسار قرغويه

نائب سعد الدولة الحمداني إلى دير سمعان في مدة ثلاثة أيام وقاتل أهله أشد قتال وفتحه بالسيف وقتل جماعة من رهبانه وكان ديراً آهلاً عامراً وسبى خلقاً التجأوا اليه من أنطاكية». وعلى ذلك تهدم القسم الأعظم من الدير وبقيت منه أطلال تدل على عظمته. وقد ذكر ديل Diehl «أن القلعة هي جوهرة الفن المسيحي» وهي أكبر كنيسة مسيحية عرفت قبل بناء الكنائس الكبرى في الغرب في القرن الثاني عشر ككنيسة القديس بطرس في رومة.

وقد ذكر المؤرخون الذين زاروا القلعة في إبان عظمتها أنها كانت مطلية بدهان جميل تتخلله خيوط مذهبة وأن الأرض كانت مفروشة بالفسيفساء وكان فيها قناديل من المعادن الثمينة وتصاوير رائعة.

طريق القلعة

واجتمعت بها كل طرف الفن فظهرت ألوانها البراقة وكانت هندستها مصنوعة بحيث تدخل الأنوار خفيفة فتزيد في جمالها وتجعل جوّها للخشوع والرهبة.

تقع قلعة سمعان في السفح الغربي لجبل سمعان في شمال غربي حلب، والطريق المؤدية إليها هي الطريق المعبدة العامة إلى أورم الصغرى، ومن هناك تسلك طريق أنطاكية إلى تارب، وبعد هذه القرية تترك الطريق المعبدة، وتسير يميناً في طريق ضيقة فتمر بقرى دانا وترمانين ودارة عزة، وبعد هذه القرية بعشر دقائق تصل إلى القلعة. وهناك طريق ثانية أقرب من الأولى إلى حلب، تمر فيها على قرية المشبق حيث تجد كنيسة قديمة قد احتفظت ببنائها، وهذه الطريق لا تصلح للسيارات.

يحتوي البناء على ساحة متسعة هي المدخل العام وعلى فناء داخلي. ويتألف بناء الكنيسة من مدخل مسقوف على شكل مستطيل ثم من كنيسة ذات أربعة أجنحة أو بعبارة أصح من أربع كنائس مبنية على الشكل الآتي:

يتوسط البناء عمود يحيط به مثمن منتظم له أربع فتحات على اربع كنائس، وأربع

فتحات على غرف صغيرة مبنية على شكل شبه منحرف . وتتألف كل كنيسة من ثلاث أسواق إحداها عريضة والأخريان ضيقتان . وتنفصل الأسواق بصفين من الأعمدة كانت تحمل أقواساً : ست في كل جهة ، وقد هدمت بكاملها إلاّ قواعدها . ونلاحظ أن القسم الشرقي أطول من الأقسام الثلاثة الأخرى ففيه تسعة أعمدة من كل جهة، وتنتهي الأجنحة الثلاثة بجدران مستقيمة، والقسم ينتهي بثلاث حنايا ، وهذا القسم الشرقي كان للعبادة فقط. أما الأقسام الأخرى فلجلوس الزائرين .

يلاصق الكنيسة معبد صغير خاص بالرهبان ، وبناؤه فسيح فيه فتحات متعددة تدلّ على وجود غرف كثيرة في طبقات ثلاث . وفي شمالي البناء مغارة منقورة في الصخر فيها مقابر . وعند مدخل القلعة غرفة مبنية على شكل مثمن فيها بركة صغيرة « لتعميد » الأطفال ، وتحيط بها أطلال عدة غرف لمسكن الزوار ، ثم طلل كنيسة صغيرة .

ويحيط بهذا البناء سور متين فيه أبراج مرتفعة تشرف على القلعة وعلى السهل الذي يجاورها. وقد بني هذا السور بعد الفتح العربي ليستطيع الرهبان الدفاع عن قلعتهم .

وتطل من الجناح الغربي على سهل عفرين في منظر ساحر . ولدينا آثار شرفة متسعة ، فالبناء من هذه الجهة يلامس قمة الجبل . وقد تهدمت الشرفة ، إلاّ أنها أجمل مكان يأوي إليه الزائر ويتمتع فيه بروعة سهل عفرين .

وتشغل القلعة مساحة ٣٨٤٠ متراً مربعاً . وطول البناء من الشرق إلى الغرب ١٠٠ متر ومن الشمال إلى الجنوب ٨٨ متراً . وعرض كل جناح ٢٤ متراً ، وقطر المثمن ٢٨ متراً . وتدلّ هذه الأبعاد على ضخامة البناء .

ويظهر البناء منتظماً على المخطّط . ولكن الجناح الشرقي ينحرف في الحقيقة قليلاً لأن الكنائس القديمة كانت تتجه دوماً نحو الشرق .

وتدل الأحجار المبعثرة على أن القسم الأعظم من البناء قد تهدّم فيضطر الزائر الى أن يسير على الأحجار ولا سيما في أطراف البناء .

ويتألف مدخل الكنيسة من ثلاثة أبواب أحدها متسع في الوسط . والآخران صغيران وهما على الأطراف . وتتكئ القوس الوسطى على عمودين نحت كل منهما من قطعة واحدة ، ويعلو كلاًّ منهما تاج كورنثي الشكل ، وتتتابع الخطوط التزيينية في وسط الجدران ويعلو كل باب مثلث، وكان بين المثلثات أعمدة تربط الأبواب بعضها ببعض وتمكنها . وكان المثلث يُغطّى بسقف ذي منحدرين .

وإذا انتهينا من المدخل المسقوف وجدنا أربعة أبواب ، اثنان منها في الوسط ، واثنان

في طرفي الجنـاح الجنوبي . ويعلو البناء جدار فيه أربع نوافذ تحيط بها خيوط منحوتة نافرة . وتدل التيجان الباقية فوق هـذه النوافذ أنهـا تنقسم قسمين ، وأن كل قسم يتألف من نافذتين تفصلهما أعمدة دقيقة . ونلاحظ في هذا المدخل خصائص الفن السوري . فالكنيسة مزينة في جميع أقسامها الداخلية والخارجية ، والجدران مبنية من حجارة متوسطة في الحجم . وقد كان بامكان البنّـاء أن يستخدم الأحجار الضخمة والبناء يرتكز على الصخر ، لـكنه آثر أن يأخذك بدقة الصنعة وإتقانها لا بضخامة الأحجار . ونلاحظ أن النوافذ هي من ضمن البناء وليست نافرة ، ونرى تعدّد الأبواب تسهيلاً لدخول الزائرين وخروجهم . ونشاهد أمكنة كثيرة لأعمدة فقدت .

والبناء رائع في ائتلافه فلا تظهر مواد غريبة تربط الأحجار بعضها ببعض . والجدران متناسقة . وأحجارها كلسية تتصف بالبساطة وحسن الذوق زادها الزمن جمالاً ، وقد أجاد المهندس ، في رأينا ، المزج بين الأقواس الشرقية التقليدية والهندسة اليونانية .

لننتقل الآن إلى المثمّـن ، وقد بقيت منه خمس أقواس وتهدّمت ثلاث . ويتوسط هذا المثمن عمود يقال إنه عمود سمعان . ومن المرجح أن المهندس قد وضعه في وسط البناء فان في الجهة الشرقية قاعدة عمود آخر عريضة جداً يُـصعد إليها بدرجات . وقد تكون القاعدة الحقيقية لعمود سمعان . فقد أجمع المؤرخون على وجود عمود ضخم ، طوله أحد عشر متراً ثم زاده سمعان إلى سبعة عشر متراً ثم إلى واحد وعشرين متراً ، وقد صنعه تلاميذ سمعان تقديساً له وكان مؤلفاً من ثلاث قطع .

ويبلغ قطر أقواس المثمن الفخمة سبعة أمتار ، وهي ترتكز على أعمدة مستقلة عن أعمدة الزوايا ، ونلاحظ ذهاب أعمدة كثيرة من بين الأقواس ، فقد كانت تتمم البناء وتؤلف دائرة تتوجها . والمثمن يؤلف داراً مكشوفة . وسقوف الأجنحة الأربعة كانت تنتهي بميل قبل أن تصل إلى المثمن . لذلك كانت تبدو هـذه الدار الفسيحة متناسقة البناء تدعمها أعمدة مؤلفة من ثلاث طبقات .

ونشاهد في الجهة الشرقية آثار باب مبني في القرن السابع يحتوي على ثلاث فتحات ، وهو قائم بين الكنيسة والدار المثمنة لئلاّ يزعج طواف الحجـاج بالعمود وصلاة المصلين في الكنيسة .

وإذا نظرتَ إلى المثمن قلت ما كان أروع هذا البناء لو كان المثمن مسقوفاً على شكل الأجنحة الأربعة فيصبح بناءً واحداً متماسكاً وقد انفرد Krekner بهذا الرأي . ولكن

طراز البناء واتجاه الأقواس وضخامة المثمن تدلنا دلالة واضحة على أن الدار كانت مكشوفة، وهذا ما أجمع عليه الذين درسوا القلعة أمثال De Vogüé و Butler و Mattern .

ونشاهد التناسب الجميل بين الأحجار والخطوط النافرة التي تزيد على الثمانية ، وتختتم القوس بنحت ناعم نافر نجده في جميع أقواس البناء .

وفي الجناح الشرقي نجد الحنايا الثلاث . الحنية الوسطى فسيحة يصعد إليها بدرجات ، وفي وسطها كانت المائدة وفيها خمس نوافذ تعلوها خيوط نافرة يتصل بعضها ببعض وتزين الأقواس والأجزاء التي بينها .

ويتوسط الحنية تزيينات ، وتنتهي الحنية بغطاء على شكل نصف قبة ، تعلوها فتحة لدخول النور ، ونجد من كل جهة حنية صغيرة ، لا تختلف بطرازها عن الحنية الوسطى . أما أسواق الكنيسة الثلاث فكانت منقسمة بالنسبة الى هذه الحنايا . ثم تدل آثار النحت الموجودة في الزوايا على أن الجناح كان مغطى بسقف ذي منحدرين .

أما النقوش التي في وسط الحنايا فتعلو أعمدة تتألف من رسوم متداخلة ومن صفين من ورق النخيل النافرة المنحنية إلى الأمام . وفي الإطار المنقوش ثلاث طبقات : يتألف الجزء الأسفل منها من نجوم ذات رؤوس دقيقة متداخلة بين خطوط معوجة ، والجزء الأوسط من ورود رؤوسها متعاكسة ، والجزء الأعلى من خط فيه زخارف ناتئة ، ثم تشبه حنايا الفناء الخارجي القسم الداخلي بأحجارها وزخارفها . بقيت قواعد الأعمدة وتيجانها وقد سقطت .

وتدل أطلال مساكن الرهبان على وجود دير كامل يتسع لإيواء عدد كبير ممن يؤمونه ويحرسون القلعة إذا دهمها خطر .

• • •

تلك صفحة رائعة من صفحات ماضينا الزاهر . وقد أردت أن أنشرها وأذيعها بعد أن تأملتها بإعجاب . وحداني إلى ذلك خاصةً أني رأيت أبناء وطني غير مكترثين لآثار بلادهم على انواعها ولا مقبلين على زيارتها ولا العناية بها ولا التعظيم لها إلاّ في النادر .

حلب داود صليبا

٢ - الكتب

• ألف ليلة وليلة • بقلم سهير القلماوي

١٧ × ٢٢ ½ سم ٣٢٠ ص مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر ١٩٤٣

عجباً لخلود شهرزاد وما حملت في طواياها من صور وأحلام . لقد ولدت هذه المرأة الساحرة من خواطر مبتكرها المجهول كما ولدت الإلهة اليونانية الزهرة من دماغ جوبيتر وربّت الأجيال وشهرزاد فتنة الأسمار وبهرة الأخبار ، وتصرّمت العصور والزهرة بهجة الفن وقريحة الشعر .

ولقد تعاقبت الأحقاب منذ مولد ألف ليلة وليلة وما زال فريق من الشرقيين يسكبون عليها أبصارهم ومشاعرهم مأخوذين بقصصها مفتونين بحوادثها ، يتقصون فيها روايات اللصوص والصعاليك ، وتشوقهم مطارحات المغرمين ومكايد الخبيثين ، يصدقون أساطير السندباد في البحر وطلاسم الجن في البر ويستخفهم كل ما في الليالي من حلاوة الكلام ، وأخذ ناس في الغرب ينشقون في ألف ليلة وليلة بخور الشرق عابقاً في قصور الخلفاء . وقد تألقت في جوّها الثريّيات والشموع فتكسرت أضواؤها على تاج مرصع بالدر والياقوت فوق هامة هرون الرشيد وهو على متكأ وثير ، ووراءه «مسرور» ممسك بمروحة من ريش النعام وندمان من حوله ، وحاشية من خلفه ، وراقصات مياسات بالدلال ، وحجّاب بالباب ، وحشم يسعون بين النُدُل بسائغ الشراب وشهيّ الطعام .

صور تتابعت على خاطري وأنا أقرأ كتاب الدكتورة سهير القلماوي في « ألف ليلة وليلة » وهو رسالة جامعية ضافية جاءت حجة على مجهود المرأة في التأليف والتحقيق ، وأن في وسعها مضاهاة الرجل في مناهج البحوث العلمية وتاريخ الأدب .

لقد توفرت سهير على دراسة بحثها هذا فاغتربت من أجله ونقبت ، واطلعت على أكثر ما كتب الغربيون في ألف ليلة وليلة قديماً وحديثاً ، فاستقصت النصوص ومحصتها وعرضت آراء المستشرقين على بساط من النقاش ، فإن منهم جماعة أحبوا هذا الكتاب الشعبي وأكبوا على فحواه ، فحللوه وركبوه وعرضوه في معاريض النقد والاستقراء ، فذكرت

السيدة الباحثة في مستهل كتابها أدباء من الغرب حاكوا ألف ليلة وليلة، فانسحبوا على أذياله وتقيّلوا ظلاله. فمرّ ببالي بعد الذين ذكرتهم سهير: ڤولتير في قصة «الوزير زاديج» فان على قصته هذه نفحات من ألف ليلة وليلة في تهويلاتها وفيما اشتملت عليه من الفواجيء والفجائع، ومنهم نفر كانوا دهاقين سياسة جاءوا بلاد الشرق من فرنسة بمراتب السفراء فتلهي منهم من تلهى عن سياسة الدول بفن القصص فعبرت حكاياتنا الشعبية من القسطنطينية إلى أوربة، فكانت في أدب الغرب متاعاً للأحاديث ومعازف للهو والسلوى، وإذا هي على مسارحهم روايات تمثيلية وفي دور السينما مشاهد رائعة وصور خالبة.

وقد حارت السيدة سهير كغيرها من الباحثين في واضع ألف ليلة وليلة، فهي ترى أن مؤلفها أكثر من واحد، ونقرت في تاريخ صدورها وحوادثها حتى استقرّ رأيها على أن منجم الليالي ومطلّ عهدها كانا في أيام المنصور أو المأمون، ثم جعل الشعبيون يلحقون بها كل قصة تستهوي العامة وتستريح إليها الخاصة، ولما عرضت المؤلفة لخصائص الليالي وتصنيفها أخضعتها لمؤثرات الحضارة الإسلامية ومظاهر الدين، إذ أن الروح الدينية تموج في أكثر مناحي الكتاب، ويظهر فيها الإذعان للقضاء والقدر، وقد بحثت النواحي الاجتماعية فيه فرأت صوراً صادقة لحياة المجتمع بمصر وبغداد في عصور تأليفه، وساقت بحثها إلى قضايا الأدب والشعر فدلت كيف خرجت أنباء الأدب من كتب الأصمعي وأنداده من الرواة لتدخل أبهاء ألف ليلة وليلة على يد قاصٍّ ماهر سكب عليها من فنه روحاً شعبيًّا ساحراً.

وهكذا قيض لصاحبة الكتاب أن تدرس نصوص الليالي وفصولها كما يدرسها الرجال الذين لا يعبأون بالمرأة على نحو ما ينبغي لها، لأنهم لم يكونوا نساء فيستطيعوا التسلل بدراستهم إلى سرّ المرأة، وأحسب صاحبة الكتاب قد تهيبت هذه المولج بما هي أحرى به وأولى، ولم يستفض حديثها عن المرأة في ألف ليلة وليلة والمرأة فيها مغبونة منكودة، ولئن عقدت الباحثة فصلاً فيها في كتابها لقد جاءت به بسبيل التحقيق العلمي وإتماماً لرسالتها. ثم ربما كان القارئ يودّ أنْ لو عرضت المؤلفة لمطارب الرقص وملاهي الموسيقى ولو من وراء حجاب، فهذا باب فيه طرفة وفيه فائدة.

وكذلك كان قلمها العلمي غالباً على قلمها الأدبي في كتابها، ولكم آثرت لو جرى هذا القلم بيد سهير على سجاياه منطلقاً من قيود الجامعة التي آثرتها في البحث.

وليت الأديبة المصرية تعود إلى شهرزاد ملفوفة بالديباج المفوف مضمخة بالعطور، قص أحسن القصص على شهريار وهو مجذوب النظر مخلوب الفكر، وقد انكسر سيفه

واستمرّ بطشه يهم به التهويم في قطع من الليل فيدفعه السهر وشهرزاد تصب في مسمعه ألحان كلامها وتملأ عينيه بروعة جمالها وتطبع على الليالي قلبه بالهوى ، فإذا لاح الصباح سكتت عن الكلام المباح ...

وداد سكاكيني

• بنت الشيطان • بقلم محمود تيمور

١٣ ½ × ١٩ ½ سم ١٥٠ ص مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر ١٩٤٤

ما كان لي أن أعرض لما كتب الأستاذ محمود تيمور وقد عرفهُ القارئ قاصًّا يتقدم ثلة من قصاص العربية في العصر الحاضر ، ويفتنّ في سبك القصة وفي عرض الحوادث ، ويتصرّف في الغرض بحسب ما توحي إليه درايته وتجربته وتوفره على هذا النوع من الأدب زمانًا . وهو في كل ذلك سليم الخاطرة ، سلس التعبير .

والأستاذ تيمور – لطول خبرته – يستطيع أن يتخيّر السمين وينفي الغث . وإن مجموعته الأخيرة من القصص « بنت الشيطان وقصص أخرى » ينغمر فيها الحسّ فتلفه حتى تطوى القصة الأخيرة « قدح ماء وليمونة » وهي قصة الصراع العنيف بين القلب والعقل. وأي رجل يتغلب عقله على قلبه في ساعة ساحرة فيقذف بالكأس المشتهاة ، وهو يوشك أن يرتشف رحيقها اللذ ، ثم ينطلق عجلاً لا يلوي على شيء ؟ أي رجل يفعل ذلك إلاّ أن يكون رجلاً عظيما ؟

هذه القصة « قدح ماء وليمونة » هي و « خصام » و « الترام رقم ٢ » بلغت شأواً حقًّا في فن القصة القصيرة، ولم تتخلف عنها « بنت الشيطان » لولا غموض ضئيل رانٍ على مرمى القصة : فهذا الخير الذي أراده رأس الشر « بلزعبول » لم يستطع أن يغير من طبيعة المخلوق أو أن يمحوها . أما كيف ارتدّ كل أمر الى أصله فهذا شيء يكشف عنه سياق الحديث . ثم لا عجب إن رحتُ أحاور الأستاذ تيمور فأقول : كيف غمّ على الشياطين أمر العباءة السحرية وكيف جازت عليهم حيلة الأمير زبرجد حين أراد الدخول الى حرمهم ففاز ؟ ولماذا انتحر صاحب « البومة تنعق » ألأنهُ كان يعيش في الريف وإن في طاقته أن يدفع عن نفسه هذا الكابوس فيرجع الى القاهرة حيث الهرج والمرج ؟ أم لأنهُ قسا على زوجته حيناً وكان يستطيع أن يكفِّر عن سيئاته ؟ أم لأنهُ قتل البومة وللإنسان في كل يوم

ألف قتيل ؟ وماذا عسى أن تكون العقدة في « ليلة عرس » ويا ليت عنوانها كان « أمانيّ قلب » أو ما أشبه ذاك .

هذا ولقد صدَّر الأستاذ كتابهُ بمقدمة انضمت على صرخة صريحة فيها عتب على الجمهور الذي انكبَّ على القصص الرخيص . هذا القصص الذي يجذب اليهِ النفوس الضعيفة والعقول السقيمة فيبذر فيها غراس الشر والأخيلة الخاوية والأوهام المبتذلة، وهو يفسد عقول النشء وأنصاف المتعلمين ، شأنهُ في ذلك شأن المقالة الواهنة الضعيفة التي تخلو من الفائدة وتفهق بالشر ،ونحن أحوج ما نكون إلى أن ندفعهم عن كل ذلك . فهذا القصص ينحط بالشعب إلى أسفل ، وتلك المقالة تعصف بصبابة من الأخلاق نترجَّاها . وهما نوعان من الأدب يتعاوران الزعامة حالاً بعد حال .

هذه الصرخة فيها الحكمة والغيرة ، فهل إلى العمل على تحقيق أمانيّ المؤلف من سبيل ؟ سل الكاتب والناشر والقارئ وولي الأمر .

كامل محمود حبيب

• ثمار المقاصد في ذكر المساجد ، ليوسف بن عبد الهادي •

بتحقيق محمد أسعد طلس

١٦ × ٢٥ سم ٣٣٢ ص نشر المعهد الافرنسي بدمشق بيروت ١٩٤٣

قصد المؤلف إلى ذكر المساجد التي عرفت في عصره (القرن التاسع الهجري) في دمشق وما قرب منها،أحصاها إحصاءً جيّداً ، وأرخها تاريخاً مختصراً . ثم ختم الكتاب بفصول في أحكام المساجد ، ما يجوز فيها وما لا يجوز ، وآداب دخولها وآداب المكوث فيها ، إلى نحو ذلك مما عرف في كتب الفقه .

والكتاب تحفة طريفة من آثار علماء الشأم الأعلام ، مؤلفه ندّ السيوطي وشبهه وعصريّه ، كلاهما عالم واسع الاطلاع ، مؤلف مكثر ، يخوض في كل علم ويؤلف في كل فنّ . ابن عبد الهادي مات سنة ٩٠٩ والسيوطي مات سنة ٩١١ ، وأكثر مؤلفاتهما جمع أو تلخيص ، وكلاهما أنتج كثيراً ، ولكن السيوطي أشيع ذكراً ، وأبعد صيتاً بما نشر من مؤلفاته .

وميزة هذا الكتاب أنهُ ابتكار جميل ، لم يسبق إليه المؤلف فيما نعلم . وكم تمنينا على

وزارة الأوقاف المصرية أن تصنع مثل هـذا الصنيع ، تحصي مساجد المملكة المصرية في كتاب مستوعب يذكر فيه تاريخها مفصلاً وأماكنها مبينة محدودة . وقد بلغني أخيراً أنهم فكروا في ذلك واتجهوا إلى تحقيقه ، ولعلهم فاعلون إن شاء الله .

وأما إخراج الكتاب فقـد أوفى فيه الدكتور أسعد على الغاية . إتقان مع أناقة ، في تحقيق علميّ تاريخيّ دقيق . زيَّـن حواشيه بنفائس من نتاج بحثه في مصـادر التاريخ وغيرها ، ومن آرائه ودراساته ومشاهداته ، ونحن نقدّر ما لقي من صعوبات في إخراج الكتاب ، فإنهُ نشره عن نسخة وحيدة من مخطوطات دار الكتب الظاهرية بدمشق وهي بخط المؤلف ، وخطه من الخطوط التي تصعب قراءتها إلاَّ على الخبراء الذين مارسوا مثل هذه الخطوط ، بل هو جديرٌ بأن يوصف بما وصفه به الدكتور أسعدَ أنه « رديء الكتابة » وقد اظهرنا على مثال منه بتصوير الصفحتين الأخيرتين من الكتاب .

وكلمة الدكتور أسعد في أواخر مقدمته تصوّر بعض ما لقي من صعوبة وما بذل من جهد : « والنسخة التي نقدمها اليوم لقراء العربية نسخة وحيدة في مكاتب العالم ، رأيتها منذ سنوات فأعجبتني وعزمت على نشرها ، وأخذت أفتش عن مصادر أستعين بها في عملي هذا فلم أهتد إلى شيء سوى تاريخ ابن عساكر ، وتنبيه الطالب وإرشاد الدارس للنعيمي وبعض مختصراته ، ومنادمة الأطلال لبدران ، وخطط الشام لكرد علي ، فقرأت هـذه المصادر كلها قراءة أعانتني على اكتشاف بعض الأسماء والأمكنة ، وما اكتشاف هـذه الأمكنة بالأمر السهل ، فان للبلاد والأرض انقلاباً وتطوراً عجيباً كما للإنسان — على رأي ابن خلدون — والله وحده يعلم كم كانت مهمتي عسيرة . وما أقول إني بلغت فيـه الغاية ولكنني بذلت الجهد واستعنت بالمصادر من شرقية وغربية ، وسألت العلماء ، وهم جد قليلين في هذا الباب ، فكان لي من ذلك بعض العون » .

وقد وضع للكتاب ذيلاً ، وهو حافل نفيس ، إذ أحصى فيه مساجد دمشق الموجودة إلى نهاية سنة ١٣٦١ ، وقد زارها مسجداً مسجداً ، وهي أكثر من ثلاثمائة مسجد . وصفها وصفاً كاشفاً ، وحاول تعيين تاريخها مما وجد في نصوص المصادر التاريخية ، ومما قرأ على جدرانها من كتابات ونقوش ، ومن طرز البناء وأساليب عمرانه . وذكر من النقوش والكتابات ما لم يكن منشوراً في كتاب فرنسي سماه . وليته استوعب ذكر النقوش والكتابات في هذا السفر القيم ، ليكون عمله تامًّـا وافياً ، ولأنه ليس من المفروض على الباحثين والمنقبين من الأمم العربية أن يعرفوا اللغة الفرنسية ، أو أن يستوعبوا قراءة ما كتب بها في علومهم وآثارهم ومفاخر بلادهم .

وقدّم الدكتور أسعد الكتاب بمقدمة جيدة، ترجم فيها مؤلفه ترجمة وافية، وأحصى مؤلفاته الباقية في دار الكتب الظاهرية، وعرّفها للقارئ تعريفاً كافياً.

وصنع للكتاب فهارس متقنة، للبقاع والمساجد والأعلام. وختم الكتاب بمصوّر جغرافي «خريطة» ذكر فيها المساجد الموجودة بدمشق، قسّمها إلى مربعات صغيرة رمز لها بحروف وأرقام، وذكر هذه الحروف والأرقام عقب الكلام على كل مسجد، ليسهل على القارئ تعيين موضع المسجد في «الخريطة».

ولكننا لاحظنا أن «الخريطة» موضوعة في الأصل باللغة الفرنسية وأنها صنعت بين سنتي ١٩٣٠ و ١٩٣٤ فهي على أكثر تقدير تنتهي في سنة ١٣٥٣ هـ وقد صرح المؤلف أنهُ أحصى مساجد دمشق إلى سنة ١٣٦١ هـ.

وقد علمنا أن هذا العمل الجليل قد توّج بقرار نبيل من «المجمع العلمي العربي بدمشق تنفيذاً للمادة ٤٨ من النظام الداخلي للمجمع، وهي تنص «أن المجمع يوزع سنويًّا ثلاث جوائز نقدية على ثلاثة مؤلفين سوريين صنفوا أو ترجموا كتباً قيمة. وعلى ذلك منح المجمع الدكتور أسعد طلس إحدى الجوائز الثلاث لسنة ١٩٤٤ لإجادته في نشر هذا الكتاب.

وهذا القرار النبيل وسامٌ أدبيّ ناله المحقق عن جدارة، وشهادة وضعت موضعها ليس تقديرها بما فيها من جائزة مادية بل بصدورها عن رجال هم من أساطين العلم.

احمد محمد شاكر

• معارك العرب في الشرق والغرب • بقلم بطرس البستاني

١٥ ½ × ٢١ ½ سم ١٣٢ ص دار المكشوف بيروت ١٩٤٤

في هذه الأيام التي تطالعنا فيها الصحف وشركات الأنباء والإذاعات بأخبار المعارك التي تدور رحاها ويحمى وطيسها في أكثر من مكان من الأرض، يظهر كتاب عربيّ يعيد إلى الأذهان تلك المعارك التي دارت بين العرب وجيوش الدول المنظمة كالفرس والروم ومن إليهم.

والحرب كريهة إلى النفوس، وخاصة لمن خاضوا في ويلها وذاقوا من مرها. وما أحكم زهيراً حين قال:

وما الحرب إلاَّ ما علمتم وذقتمُ   وما هو عنها بالحديث المرجم
متى تبعثوها تبعثوها ذميمة   وتضرَ إذا ضريتموها فتضرم..

ألا إن الحديث عن المعترك، ووصف الموقعة، وتتبع الحوادث والتعليل لها قد يلذ

القارئ المتلهي بسير الأبطال كما يلذّ العالم المعنيّ بأحداث الزمان .

وخير كتب المعارك والوقائع ما جمع بين اللذتين . فلا تطغى فيه البطولة والاغراق والمبالغة على الشرح والتحليل والتعليل ، كما لا يطغى فيه هذا على ذاك . فاذا ما طغى الجانب الاول كان الكتاب أقرب إلى الأساطير منه إلى العلم ، وإذا ما طغى الجانب الثاني كان الكتاب أدنى إلى الجفوة وأبعد من اللذة .

والأستاذ بطرس البستاني أخذ في كتابه هذا مأخذاً يرضي عشاق البطولة وأنصار العلم فقد حسبتُني حينما هممت بمطالعة الكتاب أنني أقرأ قصصاً شائقاً ، فاذا بي أقرأ بجانب ذلك علماً غزيراً وتحقيقاً في الروايات التي يصادفها قارئ كتب التاريخ الاسلامي .

والمؤلف نفسه يصرح بذلك في مقدمته المتزنة التي قدّم بها لكتابه . فهو يعرض الروايات العربية وغير العربية ، ويوازن بينها ويستخرج منها — بعد التمحيص والتفكير — أقربها إلى الحق وأشبهها بالصدق ، مع بُعد فيه عن التعصب والتحيز ، وإيثارٍ لاصابة الحقيقة مهما كان مصدرها .

والمؤلف مدرك تمام الادراك لما يتعرض له المؤرخ من التأثر بنوازع العِرق (الجنس) ومنازع الوطن والدين . لا يُستثنى من ذلك عربي ولا عجمي . وقد يجرُّ ذلك إلى الجَنَف في الحكم والميل في الرأي . لهذا كان البستاني يقظاً في تقليب وجوه آراء الفرنجة حتى يميز الحق من باطلها .

ويظهر ذلك في مسألة « جوليان » وانحيازه إلى موسى بن نصير . فقد عللها لويس برتران مؤلف « تاريخ أسبانية » تعليلاً لا يتفق مع رواية مؤرخي العرب . ولكن بطرس البستاني يبين وجه الحق في المسألة في هدوء وحسن تقدير .

إلاّ أن بطرس البستاني قد ينسى أحياناً ما أَخَذَ به نفسه في مقدمة كتابه . فهو يشك في خطبة طارق بن زياد في غير مدعاة إلى الشك ويحاول أن يعقد شبهاً بينها وبين خطبة « يوناتان » في بني إسرائيل حتى يقول إن الرواة من العرب صنعوها على غرارها .

ومما يحمله على الشك فيها أن طارقاً استعمل .. « عُرباناً » وهي ليست من الكلم الفِصاح .. ! ويخلص من هذا إلى قوله « فالخطبة كما يتبين لنا مصنوعة » وهذا تعسف في الحكم يستغرب من جانب مؤلف نصب لنفسه موازين قبل أن يشرع في الكتابة . وهل يجعل استعمال كلمة « عربان » الخطبة مصنوعة ؟ ألم يرجح البستاني أن طارقاً بربري مستعرب ؟ فلماذا يستكثر عليه لحنةً واحدة ؟

« والغنائم » و « المغانم » ثم « نفائس » البلاد المفتوحة ألفاظ يديرها المؤلف في كل وجه من وجوه سياقه، حتى إنها لتكاد تطغى على « الروح » و « الايمان » اللتين استعملهما المؤلف قليلاً واللتين هما أيضاً من خصائص المعارك العربية الأولى ، وذلك موضع مراجعة وتدارك إن شاء الله في الجزء الثاني من الكتاب .

محمد عبد الغني حسن

ع َ الماشي • بقلم ابرهيم عبد القادر المازني

١٤ × ٢٠ سم ١٠٩ ص لجنة النشر للجامعيين القاهرة ١٩٤٤

الأستاذ إبرهيم عبد القادر المازني أول من أثبت قدرة اللغة الفصحى على احتضان التعبيرات الدارجة ، وعلى صياغتها بحيث لا تفقد روحها ، ولا تنقص جاذبيتها ، أو يتلاشى سحرها ، وتبرد حرارتها . ولعله في هذه الناحية يكاد يتفرد بهذه الميزة كما يتفرد أسلوبه بحلاوة التأثير وطلاوة التعبير .

ولقد كانت للأستاذ المازني مشاركة حسنة في فنّ القصة والأقصوصة أفاد منها الأدب العربيّ الحديث ، فأبرز طائفةً من آثاره في هذا اللون من الأدب ، وكان آخر ما أبرزه مجموعته التي أسماها عَ « الماشي » .

ولا يعجبنّ القارئ من هذا العنوان فقد درج الأستاذ المازني على التواضع في عناوين كتبه ، بل على التواضع في أسلوبه والبساطة فيه — تلك البساطة التي هي أولى مراتب البلاغة ، البساطة التي تبدو هيّنةً في التقليد على حين أنها بعيدةٌ عن ذلك لأنها من روح المؤلف وصورة من شخصيته . فأنت تراه قد سمّى قبل ذلك كتابين بعنوانين متواضعين : « حصاد الهشيم » و « قبض الريح » . ولعلّ هذا التواضع سرٌّ من أسرار اقتدار المازني على اجتذاب قرائه اليه ، وعلى كثرة المعجبين بأدبه .

ولا ينكر أحدٌ ما لقوّة أسلوب المازني وقدرته على تصوير الدقائق من الأشياء والتعبير الصادق عن الخواطر والخلجات النفسية ، والتغلغل في بواطن النفس ، والكشف عن أسرارها . وإن اختلف فريقٌ في مدى اقتراب بعض أقاصيصه وقصصه من شروط هذا الفن ، أو مدى بُعدها فان تعبير المازني وتصويره لمن أدقّ أدوات القاصّ ، وقد

لا يجاريه في ذلك إلاَّ القليـل من كتّـابنا . فلا يملك قارئه إلاَّ أن يسايره في طريقه ، وإن اختلف معه في الغاية التي انتهى اليها .

ولقد انطوت مجموعته الجـديدة على أربع عشرة أقصوصة ، استطاع فيها أن يثبت قدرة اللغة الفصحى على التعبير عن النـكتة المصرية بل النكتة الشامية دون أن يحسّ القارئ فيها جموداً ، بل قد لا يتردد في الاعتراف بأن حلاوة هـذه النكتة زادت وأن بهجتها لمعت ، وأنه يمكن التقريب بين العامية والفصحى بل إدماجهما معاً بحيث تستطيع الأخيرة أن تضم الأولى إليها بدون تنافر أو سقوط .

على أن لي بعض ملاحظاتٍ أذكر منها (عَ الماشي) تلك الجملة التي ختم بها أقصوصته الأولى « من ذكريات لبنان » ، وكان جميلاً لو حذف الفقرة الأخـيرة منها وترك القارئ يقدر من خلال الحديث ونهاية القصة حيرة الرجل مع المرأة . كذلك الأقصوصة التي أسماها « نزهة وسليمه باشا » فانها أقرب إلى أدب المقال منها إلى أدب القصة .

أما بقية أقاصيص الـكتاب فهي من القوة بمكان . ولن أنسى تلك اللوعة التي أثارتها في نفسي أقصوصته التي ختم بها كتابه وهي « كيف حفرت بئراً لنفسي ؟ » فهـذه الأقصوصة إلى جانب ما اشتمل عليه كتابه الجديد من أقاصيص ، ثروة يغنى بهـا الأدب الحديث .

حسن كامل الصيرفي

• خصائص الروح الفرنسي • بقلم عثمان أمين

١٢ × ١٨سم ٣١ ص دار النشر هوروس القاهرة ١٩٤٤

رأى الأستاذ الدكتور عثمان أمين المتخرج في السّربون ومدرس تاريخ الفلسفة بكلية الآداب عندنا أن يفحص عن الروح الفرنسي ويذيع فضله ، ويريد بالروح كلمة Esprit ، Spirit . فبيّـن خصائصه وهي : «القصد والاتزان ، والحـكم السليم، والبساطة والوضوح، والاتصال بالجمهور ، والنفور من تكلف إقامة المذاهب الفكرية ، وإيثار الملكات البشرية ، والملاحظة الباطنية (يعني ملاحظة الباطن) » . والحق أن وراء تحليل المؤلف لذلك لروح وتفصيله لخصائصه اطلاعاً ودراية وتفهماً . ولا نشك أن الروح الفرنسي حقيق بمثل هـذه العناية ، فهو في المراتب العليا ، وله فضل عظيم في غذو الضمير وتنوير الفكر . ومما

يبدو لنا أن في المؤلف تحمساً للموضوع الذي عالجه وإيثاراً لا ترتاب في صدقه للعقلية الفرنسية . وكان أدنى إلى الاعتدال أن يترك في المقدمة الموازنة المبتسرة التي عقدها بين العقلية الفرنسية والعقليتين الانجليزية والألمانية . هذا وإننا نرى أن المؤلف قصر نظره على ميدان الفلسفة ، وهو ميدانه ، وإن قال في الخاتمة : « تلك بعض الصفات التي تبدَّت لنا ممثلة للتفكير الفرنسي في جملته » ، على حين أن الروح الفرنسي في جملته يتجلى في الأدب والتصوير والنحت والموسيقى وغير ذلك أيضاً . ولو عرض المؤلف الألوان الحديثة للأدب وما إليه لراجع بعض تلك الخصائص مثل « البساطة والوضوح » (نذكر أصحاب الشعر الرمزي على طريقة Rimbaud و Claudel و Mallarmé وقصص جيرودو وأضرابه والموسيقى التأثرية على طريقة Debussy) ومثل « الاتصال بالجمهور » (نذكر أصحاب أدب ما وراء الواقع وتصويره) . والرسالة حرية بالمطالعة والتأمل .

*[1]

• سيدة القصور • بقلم علي الجارم

١١½ × ١٦½ سم ١٥٢ ص مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر « اقرأ » ١٩٤٤

• من النقد الفرنسي • بقلم محمد روحي فيصل

١١½ × ١٥½ سم ١٥١ ص مكتبة البابيروس دمشق ١٩٤٤

قدر هذا الكتاب الصغير أنه ينقل الى قراء العربية بعض آراء الغرب الحديثة في الفن والأدب نقلاً حسناً في عبارة سليمة ، أنيقة أحيانا . ولا شك أنَّ بالمقبلين على صناعة الأدب عندنا ولاسيما الهاجمين على نقد الشعر من غير أبوابه حاجة الى مطالعة فصل پول ڤاليري في « الشعر » وفصل آبل بونار في « الحيـاة والشعر » كما أن بهم حاجة إلى تأمل ما سطره لانسون في « العاطفة والأدب» وفي « البيان » . لعلّ في مثل تلك الفصول ما يثقف من ضؤول محصوله ويُـفطن من بطؤ فهمه ويرهف من غلظ حسّـه . هذا ولا بدّ من ترجمة الفصول الرفيعة في النقد والاسترسال حتى يحسن التوجيه ، وتستقيم المقاييس . وللمترجم فضل في الاختيار والنقل .

*

---

(١) النجم يرمز الى اسم من أسماء المتعاونين على الانشاء في هذا الباب .

٣ - المجلات

مجلة الحقوق

أتمت مجلة الحقوق للبحوث القانونية والاقتصادية سنتها الأولى بظهور العدد الرابع (أكتوبر — ديسمبر سنة ١٩٤٣). وهذه المجلة تصدرها كلية الحقوق في جامعة فاروق الأول تحت إشراف مؤسسها ورئيس تحريرها العميد الدكتور زكي عبد المتعال.

ونظرة سريعة إلى المجلة تبين لنا عظم المجهود الذي بذل في سبيل إخراجها على صورتها الحاضرة. فلقد بلغ مجموع الصحف المكتوبة باللغة العربية نحو تسعمائة صفحة، ومجموع التي بلغة أجنبية نحو المائة.

أما محتويات المجلة فهي متنوعة يجد القارئ في مختلف أعدادها مجموعة حسنة من المقالات لبعض القائمين بالتدريس في الكلية، كما ساهم فيها بعض أساتذة خارجين عنها. ويضيق النطاق هنا عن التنويه بموضوعات هذه المباحث وبأسماء كاتبيها فحسبنا أن نثبت أنها موضوعات شائقة وهامة، تناولت الشريعة الاسلامية والقانون الجنائي والقانون الدولي العام والخاص والقوانين المالية والادارية. ولا جدال في أن الباحث — سواء كانت بغيته علمية أو عملية — واجد فيها سنداً يركن إليه ومرجعاً يهتدي به.

ولما كانت هذه المباحث، كما قدمنا، متناولة لأغلب فروع القانون والاقتصاد كان من المستحسن، في نظرنا، أن يخصص كل عدد من الأعداد الأربعة لفرع معين، أي لنوع خاص من المباحث بحيث يكون العدد الأول للدراسات الشرعية ولتاريخ التشريع، وأن يكون الثاني للقانون الخاص وما يتصل به، وهكذا ...

وبجانب المقالات التي أشرنا إليها، يجد القارئ طائفة من التعليقات على الأحكام الصادرة من الجهات القضائية على أنواعها. ولهذه الناحية خطرها لدى الباحثين، إذ فيها يلتقي العلم بالعمل ويظهر مدى التفاعل بينهما. وهكذا يساهم الفقه في تكوين قضاء متئد يساير ضرورات الحياة المتحولة. والواقع أن هذا الباب من مظاهر التماسك بين اجتهاد الفقه ونشاط القضاء، ولذلك نود لو يفسح له المجال على وجه أوفى في المستقبل.

ولم يغفل المشرفون على تحرير المجلة تخصيص جانب للعمل التشريعي، فنشروا بعض

وثائق وتقارير تمس موضوعات ذات شأن في ميدان القانون . فالقارئ يطلع من ص ٢٩١ إلى ص ٢٩٤ على مذكرة وزارة العدل في مهمة لجنة التوحيد لجهات شهر التصرفات العقارية والسجل العقاري . وعمل هذه اللجنة غير يسير ، يعرف ذلك كل من اشتغل بدراسة القانون المدني علماً وعملاً . ومما هو جدير بالذكر أنه في المجلة باب للتعليق على المؤلفات القانونية والاقتصادية الحديثة . وفي هذا خدمة للاختصاصيين إذ تعرّف لهم المجلة ما يظهر من التآليف وتبيّن لهم قيمتها العلمية أو العملية . وفي مأمولنا أن يتسع الباب لتلخيص بعض المقالات والمباحث الهامة التي تنشرها المجلات الأخرى استكمالاً للفائدة .

والخلاصة أن مجلة الحقوق قد برزت في وقت وجيز إلى الصفوف الأول في ميدان النشاط العلمي . وعندي أنها ستحقق الأغراض التي ينشدها مؤسسها ، ولا يسعني إلاّ أن أتمنى لها اطراد التقدم والفلاح .

حامد زكي

الاستاذ بكلية الحقوق (جامعة فؤاد الاول)
والعميد السابق لكلية الحقوق ببغداد

المشرق

احتجبت مجلة المشرق نحو سنتين فافتقد قراء العربية جانباً من زادهم . وقد ورد علينا العدد المنتظر وهو الاربعون (١٩٤٢ — ١٩٤٣) ووجدناه يضم ثلاثة مباحث تهم المتعقب للأدب العربي الحديث : المبحث الأول تاريخي بقلم إبراهيم عواد وعنوانه « لبنان في عهد المماليك » وفيه عرض لغزو مماليك مصر ولمحنة الجبل وأهله البواسل من دروز ونصارى . وفي المبحث الثاني : « الأدب وتطوره في جبل عامل » بسط الشيخ علي الزين خصائص أدب رجال الشيعة العامليين قديماً ونبّه إلى تحوّل النثر والشعر في العصر الحديث. ويجري هذا المجرى المبحث الثالث وعنوانه : « مظاهر الأدب في جبل الدروز » لسعيد أبي الحسن من السويداء ، وفيه طرائف كثيرة . ويلي هذه المباحث فهارس المشرق العامة وهي تتناول المجلدات الأربعين . وكنا نترقبها من زمن لأن الباحث لا يسعه إلاّ أن يرجع الى المشرق الحين بعد الحين، فهذه المسارد تُدني التفتيش وتيسر التنقيب .

وبعد فما ترامى إلينا أن المشرق خارج بعد اليوم في صورة جديدة بهمة الأب لويس خليل الماروني الذي أبرز هـذا العدد ، ونحن لا ننفك نرتقب الفوائد وقد أومأت اليها المقدمات .

*

٤ — الاستدراك

• القاموس العصري • عربي — انكليزي بقلم **إلياس أنطون إلياس**

١٦ × ٢٤ سم ٧٤١ ص المطبعة العصرية القاهرة ١٩٤٣

كنتُ قد ناهزتُ الخامسة عشرة من سنِّي ، أو جاوزتها بقليل — إلَّمْ تخني ذاكرتي — حينما قُلِّدت تدريس آداب اللغة العربية في المدرسة التي نشأتُ فيها في بغداد مسقط رأسي أي في مدرسة القديس يوسف للآباء الكرمليّين . وكنت قد لاحظتُ عهدئذٍ أن المعاجم الضادية اللسان تختلف كل الاختلاف عن الدواوين الإفرنجية اللُغى ، لأننا نرى هذه تعرّف الحيوان والنباتَ والجماد تعريفاً يرشدك إلى عين الشيء أو يكاد ، على حين ترى معاجمنا لا تهديك إلى مطلوبك إلاّ من بعيد ، لأنها كثيراً ما تعرّفك بالشيء بقولها : حيوان ، طائر ، سمكة ، حشرة ، هامة ، أو ما يداني هذا التعريف العام ، المبهم ، الموهم ، الذي لا يسمن ولا يغني من جوع (١) .

فقلنا في نفسنا : إن سهل الله لنا السفر إلى ديار الأفرنج لندرسنّ علوم التاريخ الطبيعي (٢) درساً متقناً يهدينا الى سواء السبيل ، ويرشدنا إلى كل خلق إرشاداً ، يجعلنا نعرف الاشياء بأعيانها ، من دون تردُّد ، ولا تريُّث ، ولا تريُّب .

ولما تغربنا في سنة ١٨٨٦ م الى سنة ١٨٩٤ ، ودخلنا مدارس بلجكة ، وفرنسة ، كان

---

(١) راجع مقالة لنا في المقتطف المجلد ١٠٤ : ٢٣٨

(٢) التاريخ الطبيعي ، Natural History ، تسمية جديدة لم تكن معروفة في سابق العهد ، وتعني العلوم التي تصف الاحياء وصفاً صادقاً ، وتبوبها تبويباً جامعاً مانعاً ، فتهديك الى معرفة الانسان ، والحيوان ، (من ذوات الاربع وغيرها) والطير ، والسمك ، والحشرة ، والهامة ، والجماد والسائل . — ولم تكن هذه الكلمة معروفة عند من تقدمنا في هذه الدنيا ، وانما هي منقولة نقلا عن ابناء الغرب ، إذ يوافق المبنى المعنى ، ولا يعترض عليه إلا من أعماه الهوى أو الغرض ، أي اولئك الذين حادت طبائعهم عن السراط المستقيم ، واشتهروا بمخالفتهم لارباب الذوق السليم . نعم ان بعض الناس من الاقدمين في عصر العباسيين سموه (علم المواليد) لكن «التاريخ الطبيعي» أصوب وأدل على المعنى المنشود .

أساتذتنا يأخذوننا إلى المتاحف (١) ، والمعارض وأحيار (٢) الحيوان ، والطير ، والسمك والحشرات ، والنبات ، لنرى رأي العين ما يريدون أن يُرسخوه في أذهاننا من الحقائق والدقائق إرساخاً مكيناً ، فنجحوا في عملهم هذا . وبهذهِ الطريقة ، عرفنا أشياءَ جمة ، كان يستحيل علينا معرفتها معرفة تامة ، لولا هذهِ الوسيلة العلمية ، الناجحة ، البديعة.

ثم دخلنا في دير الرهبان الكرمليين في بلجكة ، وأتممنا ما كنا قد بدأنا بهِ ، ولما عدنا الى بغداد ، دار السلام ، سنة ١٨٩٤ ، أخذنا بإِتمام ما كنا نشمّمْنا فيهِ قبل الغربة ، وهو تصنيف معجم واسع أسميناهُ «المساعد» ، يوضح الألفاظ المبهمة المدلول إيضاحاً يشفي ما في النفس من العلة ، وما في الصدى من الغُلَّة .

وكنا في هذه الأثناء نبحث عن المعاجم المختلفة الألسنة من خطية ومطبوعة ، فنقتنيها . فاجتمع عندنا منها قدر غير يسير ، أي نحو من ثلثمائة ، ورأينا فيها من القُصور ، والأغلاط ، والأوهام المتنوّعة ما يُثَبِّط الهمم ، ويغلّ الأيدي ، ويقيد الأرجل ، لكن مع كل ذلك ثابرنا حاقّ المثابرة ، وأبينا أن نرجع القهقرى ، فبلغنا — والحمد لله — مبلغاً ظهر لنا فيهِ أننا لم نضع أوقاتنا ، وكان كثيرون — من ربوع شتّى ، وأصقاع نائية — يستشيروننا في بعض الألفاظ ، فيرجعون عنا بما يرضيهم حافلي الوفاض ، أكثر مما كانت ترضيهم المعاجم الأخرى ، الغالية الثمن ، المختلفة المباحث والموضوعات ، التي كانت في أيديهم ، وحتى التي كانت بين أيديهم

وفي الآخر ، وقع بيدنا ، المعجم العربي الإنكليزي الموسوم بالقاموس (٣) العصريّ : تأليف الياس انطون الياس ، فألفيناهُ الضالة المنشودة ، بل قلنا : كل الصيد في جوف الفرا لأننا قدرناه أفضل من جميع ما أُلِّف في هذا الموضوع ، إلاَّ أننا وقعنا فيهِ على أوهام

---

(١) المتاحف جمع متحف كمصحف ، وغلط من فتح أوله . وأحسن منه المتحفة وهي الدار التي تكثر فيها التحف .

(٢) الاحيار جمع حير ، زنة خير ، هكذا جاءت هذه اللفظة في تواريخ عهد العباسيين ، ويراد بالحير : حديقة الحيوانات وبالانكليزية Zoological Garden.

(٣) اعترض كثيرون على المؤلف لكونه عنون كتابه بالقاموس . قالوا : وهذه الكلمة لم ترد عند العرب بمعنى المعجم أو كتاب متن اللغة . فنقول لهم : اعتراضكم بارد لأن العرب أسمت (أوقليدس) كل كتاب في الهندسة . وأوقليدس اسم الحكيم الذي وضع كتاباً في الهندسة . ومن هذا القبيل (المجسطي) (وآجرومية ، والعامة تقول أجرومية) فتأمل ثم تذكر اسم معجم الفيروزابادي المسمى «القاموس المحيط» ..

فاتت المؤلف أو نَـثَّـت من أنامل المنضّـد ، فأحببنا أن ننبه صاحبهُ على وقوعهـا ، ثم استأذنّـاه في أن نصلحها بيراعتنا الضعيفة المرتجفة ، حتى لا نتعبهُ في هذا العمل الشاق ، ولما كان المصنف مطبوعاً على أصدق التواضع رضي بأن نتولى هذه الخدمة الصغرى بطيبة خاطر كما هو شأن العلماء العاملين ، فقمنا بها بأحسن ما في طاقتنا .

• • •

وأول شيء جلب نظرنا اليهِ أنهُ أعرب جميع أواخر الأسماء أو يكاد ، بعلامة الرفع . والمشهور أن أطراف الـكلم تجرَّد من كل حركة ، إلاَّ في المبنيّـات ، فتبقى على ما بنيت عليه ، كما في أواخر الأفعال الماضية . مثل علمَ وفهمَ وأكرم . وأواخر الضمائر كما في هُـوَ وهمْ وهنَّ . وأواخر أدوات الحروف ، كما في على ولنْ وحيثُ إلى نظائرها .

ولما سألنا المؤلف عن سبب ضبط أطراف الأسماء بعـلامة الرفع ، منوناً كان أو غير منون ، قال : عمدنا إلى ذلك ، تمييزاً للأسماء من الأفعال . فلو قلنا مثلاً وخم ، وزانَ كتـف ، بمعنى وخيم ، بلا رفع ، اختلط على القارئ بفعل وَخِمَ ، زنة علِـم . فمنعاً لهذا الوهم ، اضطررنا إلى هذا الاستعمال ، فهو اصطلاح خاص بنا لا قاعدة عامة للجميع .

فقلنا لهُ : ان هناك أسامي لا تشبه الأفعال في صيغتها ، أفما كان الأحرى أن تهمل علامة الإعراب ؟ قال : من اتخذ قاعدة في البعض ، جرى عليها في الـكل .

ومن الأمارات الدالة على قيمة كل معجم ، مراجعة اصطلاحات علم المواليد ، أي الأوضاع العائدة إلى علم الحيوان والنبات والجماد . وقد راجعنا أسفاراً عدة ، فألفيناها لا تُـعنى عناية صادقة بوضع المقابل لها في لُـغَـى الافرنج . وربما شرحوا الحرف الافرنجي بعبارة طويلة عريضة ، وأهملوا اللفظ العربي الصحيح الفصيح ، ففات المقصود من استشارة المعجم وسبب وضعهِ .

أما الأستاذ الياس فقد أفرغ كل وسعه في وجود اللفظ الافرنجي المقابل للعربي أو بالعكس . ومع ذلك فقد وجدناهُ يخطئُ في بعض تلك الأوضاع ، أو في رسمها ، لأنهُ اعتمد على بعض نقلة العلوم والفنون والصنائع من أهل هذا العصر ، فانهُ رسم مثلاً (الـكهربا) بهمزة في الآخر ، وينسب إليهِ بقوله (الـكهربائي) ، مع أن الأقدمين منّـا صرّحوا بأنها مقصورة ، وليس وراء الألف القائمة حرف أو همزة ، كما ليس وراء عبادان قرية (راجع تاج العروس في مستدرك كهرب) .

ومما تبع فيهِ بعض كتبة هذا العصر ، أنهُ قال في (ص ٢٨٦ من الطبعة الثانيـة) : « سيارة : كوكب يسير حول الشمس » مع أن الكوكب المذكور يسمى (سياراً) ، بلا هاء في الآخر ، بخلاف (السيارة) المتخذة الآن للركوب ، فانها تختم بهاء .

ومن أسماءِ الحيوان التي لم يصب فيها المحزّ ، قوله في ص ٢٠٩ : «رجل الغاب : حيوان بين القرد والانسان » وتبع في هذه التسمية كل من كتب في الأوران أوتان . ولا جرَم ان قولنا : رجل الغاب لايصح إلاّ على الذكر من هذا القرد ، دون الأنثى . ولهذا وجب علينا أن نقول : إنسـان الغاب ، ليقع على الذكر والأنثى معاً . فضلاً عن أن معنى (أوران أوتان) إنسان الغاب ، لا رجل الغاب .

وفي باب الواو : ذكر الوز العراقي (في ص ٧٠٨) وهذه كلمة شائعة على ألسنة الأدباء شيوعها على أسنة يراع العلماء ، مع سوء وضع هذه الكلمة في غير موضعها ، لأنها تدل على أوز يسبح دائماً في الماء ويلتذّ بهِ . وليس لهذا الطائر وجود في بلادنا لينسب إليها ، إنما سبب هذا الوهم الشنيع أن مطبعة من مطابع بيروت أصدرت كتيباً لتعليم الصبيان أوائل القراءة ، ورسمت فيهِ صورة هذا الطائر ، وكتبت تحته (وز عراقي) وذلك قبل نحو ٦٥ سنة . ولما كانت سنة ١٨٩٥ أخذت نسخة من هذا الكتيّب إلى أشهر علماء العربية في بغداد يومئذٍ ، وهو السيد الشيخ نعمان الآلوسي مدرس العربية في جامع مرجان ، من أشهر جوامع بغداد . وقلت لهُ . ما تسمي هذا الطائر المرسوم شكلهُ هنا ؟ — ووضعت يدي اليمنى على ما كتب تحتهُ — فقال : هذا الأوز الغَيْـراق — (ولفظ الكلمة بكسر الغين المعجمة ، تليها ياء مثناة تحتية ساكنة فراء مفتوحة ، فألف فقاف) .

فقلت لهُ : يا سيدي ، المكتوب هنا (وز عراقي) . فقال : هذا غلط طبع ، أو غلط يدل على جهل صاحبه ، إن كان المؤلف كتب الكلمة عمداً بهـذه الصورة . فقلت لهُ : يا سيدي ، لكلمة المؤلف (وز عراقي) معنى ، وأما (وز غيراق) فلا معنى لهُ . . . — فقال : ليس في بلادنا وزّ بهذا الخلق حتى ينسب اليهِ . وثمّ سبب آخر لتسميته بالغيراق ، لأنك تراه دائماً سابحاً في الماء على ما وصفه الكتّاب الأقدمون مثل الدميري ، والكتّاب المعاصرون كأحمد فارس . ولما كان بعضهم يجهل معنى (الوز الغيراق) لأنه لم يألف سماع الكلمة هذه ، وقد ألِف سماع (العراق) ، ظنّ أن اللفظ الصحيح هو هذا ، دون ذاك ، وهكذا سرى الوهم من واحد إلى آخر ، وليس هناك من ينبه على هـذا الوهم ، ولا من يضرب على ايدي النقلة الجهلة والنساخ المساخ لكلام الأقدمين .

والآن أزيد على ما تقدم : وأما الذين عربوا كتب الأقدمين من اليونانية، فانهم ذكروه باسم (القُـقْـنُـس) بقافين والأولى منهما مضمومة والثانيـة ساكنة ، فنون مضمومة ، وفي الآخر سين مهملة ، وقد يعجمها بعضهم فيقول : الققنش وباليونانية Kuknos . ولغويُّـونا حذفوا علامة الإعراب اليونانية . وقالوا (قوق) و (قاق) . وكنت قد وضعت مقالة في مجلة المجمع العلمي العربي الدمشقية في سنيها الأولى . وهي ليست الآن بين يديّ لأذكر السنة والصفحة . وبينتُ بعض هذه الأسماء وشرحتها .

ومن الأغلاط التي ركب متنها الأستاذ ، سائراً بها وراء بعض الـكـتَّـاب المعاصرين ، قولهُ في ص ٦٩٤ : « آبض : سفرجي » فوجدنا فيها وهمين : الأول وضعهُ الـكلمة في مادة (و ب ش) مع أنها ظاهرة الاشتقاق من (اب ش) . والثاني أنهُ فسرها بكلمة مصرية عامية مشهورة على الألسن وهي (سفرجي) . وذكرها جميع اللغويين في مادة (اب ش) مع أن الـكلمة يونانية من Abax ومعناها : « ما يُـزين فناء الرجل وباب دارهِ ومحل طعامهِ وشرابهِ ، وهو زِلّـيج مربع من رخام أو قَيْـشَـمِيّ أو زجاج ملوّن ، تُـزيَّـن بهِ بعض المواطن التي يتردَّد إليها صاحب المنزل ليَـأنَـس بالنظر اليها . على أن لغويينا ، ذكروها بقولهم : الآبض الذي : يزيّـن فناء الرجل وباب دارهِ بطعامهِ وشرابهِ » — وصواب الرواية : « ما يزين بهِ فناء الرجل وباب دارهِ ومكان طعامهِ وشرابهِ » والذي ساقهم إلى الوهم هو : أن الآبض ، وردت بصيغة الفاعل ، فأوّلوها بما أوّلوها ، وقد قلنا كلمتنا في هذا البحث في كتابنا (أغلاط اللغويين الأقدمين) ، وهو ليس بيدنا الآن لنحيل النظر فيه.

ومن أوهام أهل هذا العصر (ص ٢٦١) أنهم يظنون أن السُّعَـادي العاميَّة ، وزَان الغُـرَابي ، وهو السُّعْـد عند الفصحاء أي بضم السين المهملة ، وإهمال الدال بعـد العين الساكنة هو المسمى بالانـكليزية Sedge وليس الأمر كذلك، بل الذي يقابل هذه الانكليزية هي سعادى ، بضم السين المهملة وعين مهملة مفتوحة يليها الف فدال مهملة مفتوحة وفي الآخر ياء مهملة . وأما السُّعَـاديّ العامية فهي عنـد الفصحاء ، هو النبت المسمى بالانـكليزية English galangale, Cypress, galingale لـكن المؤلف تبع خطأ المتحذلقين ، ولم يتبع علماء الفن الذين يخالفون العوام كل المخالفة .

* * *

هذا بعض ما لاحظناه في هذا المعجم ، فلم يبق علينا إلاَّ أن نبيّـن مزايا هذا السِـفْـر ، والسبب الذي حملنا على أن نعتمد عليهِ دون غيرهِ ، فنقول :

من خصائص هذا الديوان اللغوي : أنه معجم حيّ لا معجم ميت . إنك تلفي جميع المعاجم التي تطبع أو تؤلف في هذه السنين الأخيرة ، أي منذ نحو مائة سنة ، تدوّن الكلم القديمة منذ نأناة الاسلام إلى هذا العهد ، ولا تقيد حرفاً واحداً من فصيح كلام المعاصرين . وهذه الصفة تجعل الكتاب من كتب الأموات لا من كتب الأحياء ، تَقَرّ فيها مثلاً عن سيارة ، وطيارة ، وغواصة ، ومدرعة ، ودبابة (بالمعنى الحديث) ودرّاجة ، وسحّابة ، وجميع أوضاع المحاكم ، ومصطلحات القضاء ، والقانون ، وألفاظ النصرانية فانك لا تجد لها ذكراً ، ولا إشارة ولو من طرف خفي إلاَّ في النادر ، لكنك تجدها في « القاموس العصري » . فلقد تفرَّد بأن وضع بجانب الكلمة العربية التي ينشد نقلها إلى الانكليزية ما يفيد معناها بالعربية أيضاً ، لكن بما يبينها لك تبياناً آخر ، يفهمك الأولى ، بلا تعب ولا نصب . وأنه يسرد لك جميع الألفاظ التي وضعها المعاصرون ، من أرباب الصحف والمجلات ، والمؤلفات العصرية ، في العلوم ، والآداب ، والفنون ، والصنائع المستحدثة ولا تكاد تجد لها أثراً في سائر الدواوين . وأنه تجد فيه كيف تقع على الكلمة التي لا تسقط عليها في مظنتها ، فهو يرشدك إلى محل الاطلاع عليها ، وهي ميزة تفرَّد بها هذا السفر الجليل ، فانك تجد مثلاً في مادة (اح . ويليهما حرف ثالث) في ص ٨ محل وجود الكلم التي لا تراها في ما تركب من هذه الأحرف الثلاثة وأنه جمع إلى مراجعة الجرائد والمجلات والدواوين الخاصة والعامة قديمة وحديثة لأبناء العرب والغرب طبعاً متقناً ونظيفاً ، وحروفاً أفرنجية وعربية ضخمة ودقيقة .

فلتلك الخصائص أقبل العراقيون على اقتناء هذا القاموس ولم يحبوا أن يضعوا بجانبه معجماً آخر ضخماً كان أو غير ضخم ، لأنهم وجدوا فيه ضالتهم المنشودة ، وجميع أمانيهم ، من ألفاظ عربية ، ومصطلحات إنكليزية . وقد رأيناه في أيدي كثيرين حتى عند سكان سواحل البحار المحيطة بجزيرة العرب ، كالكويت ، والبحرين ، ونجد ، والمحميات التسع أو النواحي التسع . فلا شك أن هذا الأستاذ يستحق من أهل اللغة الانكليزية جزاءً يعادل الخدمة التي خدم بها لغتهم وحببها إلى الناطقين بالضاد .

الأب انستاس ماري الكرملي

من أحفياء مجمع فؤاد الاول للغة العربية

باب الأخبار العلمية

من معجزات العلوم والفنون

كيف ينتفع الأميركيون بالمخلفات الزراعية

إنتاج الفحم الحجري والبنزين من الحقول لا من المناجم في ساعتين !

وقود معدني من المزارع

في أميركة عالم كيميائي مشهور ، هو الدكتور إرنست بِرْل Berl أستاذ المباحث العلمية في معهد كرنيجي الصناعي الفني في مدينة بتسبرج بالولايات المتحدة . وقد أعلن برل منذ أواخر سنة ١٩٤٠ أنه سوف يأتي يوم نستطيع فيه أن نستخرج الفحم الحجري والبنزين من المزارع ، لا من المناجم والآبار . ثم صرّح بأنه قد أتيح له في معهد مباحثه استخراج الزيت المعدني الخام وضروب الفحم الحجري القاريّ والأسفلت وفحم الكوك ، وذلك من مواد شتى ، أخصها الذرة والخشب والأعشاب البحرية والأوراق النباتية والعسل الأسود ، لأن هذه المواد جميعها غاصة بالمركبات التي تسمى بالمواد الهيدروكربونية ، التي يتألف منها النشا والسكر .

ويعترف هذا العالم بأن أصناف الفحم الحجري والأسفلت والزيوت المعدنية التي استخرجها تحتوي على خصائص تشبهها في المنتجات الطبيعية المعروفة كل الشبه وبأنه لم يكن في وسعه في بدء أمره إنتاج الفحم الحجري الصلد ولكنه قال : إنه لن يألو جهداً حتى يفوز بما يبغي في المستقبل القريب .

وسيجني الأميركيون من هذه الطريقة منافع جمة إذ تنشئ لهم مصدراً للوقود يتسنى تجديده على الدوام . فقد كان المعروف أن الموارد الطبيعية للفحم الحجري والزيت المعدني قابلة للنفاد . وإذا نفدت فلن يمكن تعويضها إلاّ بعد انقضاء حقب طويلة لا يستطاع تجديدها .

أسلوب سريع للإنتاج

وأعرب الدكتور برل أن في مقدوره صنع الفحم الحجري أو الزيت المعدني في خلال ساعة أو ساعتين . وذلك بطريقة هينة . ومدارها تسخين المواد الهيدروكربونية تحت الضغط بعد خلطها بحجر الجير .

بيد أنه لا يتاح الآن أن تنافس أسعار هذه المنتجات أثمان الزيت المعدني الخام الذي يستخرج من باطن الأرض ولكنها أرخص من البنزين الذي يستخرج من الفحم الحجري لأن هذه الطريقة الأخيرة تحتاج إلى أجهزة غالية ذات ضغط مرتفع.

المخلفات الزراعية موارد لا تحدُّ

ثم جاءَ في أحدث ماورد علينا من أنباء أميركة الخاصة بهذا العالم واختراعهِ، ما يأتي نقلاً عن إحدى المجلات العلمية: —

لو تمكنت ذات يوم من دخول المعمل الكيميائي الذي يديره الدكتور إرنست برل في معهد كرنيجي الصناعي الفني، حاملاً بوشلاً من الحنطة (البوشل مكيال للحبوب يساوي ثمانية جالونات) أو سلَّةً من الأوراق النباتية العتيقة، لاستطعت بعد ساعة مزايلته ومعك قدرٌ من الفحم الحجري القاري أو زيت الوقود، هو نتيجة تحويل ما قدمت إليه من الحاصلات الزراعية، إذ نجح ذلك العالم الشيخ الوقور الذي يعمل في مدينة بتسبرج الأميركية الصناعية ذات الجو الملبد بدخان المصانع، منافساً الخليقة في منتجاتها الطبيعية، فينتج في ستين دقيقة مواد تشبه ما تقضي الطبيعة في إنتاجه ملايين السنوات.

تزيل بعض بواعث الكفاح

فتراه هنالك ينتفع بالحاصلات الزائدة على الحاجة وبالمواد الزراعية المهملة في الحقول أو أية مادة تحتوي على كربوهيدرات. فقد اخترع طريقة لتحويل هاتيك الحاصلات الى موارد وقود لا تُحدُّ. وتسنَّى له بوسيلة واحدة التخلص إلى الأبد من التهديد الخاص بعجز موارد الزيت الطبيعي في المستقبل البعيد. فأنشأ سوقاً واسعة الأرجاء لجميع ما قد يستغنى عنه الفلاحون من مخلفات حقولهم. كما نسخ أيضاً مذهب «البلاد الضئيلة الزيت» لأن أية دولة في وسعها زرع البسلة الصينية أو فول الصوية والبرسيم الحجازي، ستغدو واثقة من حصولها على مورد ثابت من النفط السامي الدرجة. وربَّ سائل يسأل: هل يؤثر العالم الالتجاءَ إلى مكتشفات الدكتور برل التجاءً تاماً في الأحوال الحاضرة، أو هو لا يكترث لها؟

الانسان يستنفد والخليقة تغدق

وجوابنا عن ذلك: أنهُ يخيل الينا أنهُ في خلال السنوات العشر القادمة، لامندوحة عن الانتفاع إما بطريقة هذا العالم، وإما بغيرها من وسائل التركيب الكيميائي للوقود لأن الموارد العالمية للزيت المعدني تستنفد استنفاداً ذريعاً. وفي هذا الصدد يقول الدكتور برل: «ولكن هذا الاستهلاك السريع للزيت المعدني الطبيعي لا يسوغ أن يكون باعثاً فعليًّا على اضطرابنا، ما دامت الخليقة تغدق علينا كل سنة حاصلات زراعية،

وما بقيت الحاصلات تصنع لنا بطريقة التركيب الكيميائي الضوئي أي بتأثير الشمس في الخلا النباتية، جميع المواد الهيدروكربونية اللازمة لانتاج الزيت، ممثلة في السكر والسليلوز. وعندي أن الحاصلات الزراعية التي تستغل من العالم في ثلاث سنوات يمكن أن تمدنا بمقادير من الزيت المعدني تعدل جميع الزيوت المعدنية المدخرة الآن في باطن الأرض »

ومن المعتقدات الشائعة أن الزيت المعدني والفحم الحجري، قد تولدا حينما كانت الأرض في حال التكوين . وأن هاتيك الحاصلات كانت مثل فصل غامض في تاريخ علم طبقات الارض . ومما لاشك فيه أن هذه الطريقة ما فتئت جارية على ذلك النمط، إذ الفحم الحجري والزيت المعدني ما زالا يتولدان في باطن الأرض . ولكن من سوء حظنا أننا لا بدّ أن نقضي ملايين السنين ريثما نظفر بالحاصلات الأخيرة من ذينك المعدنين .

المواد الهيدروكربونية هي الاساس

فأضحى هذا العالم الشيخ يستبدل الدهور الطويلة التي تقضيها الطبيعة في خلق تينك المادتين المعدنيتين بالضغط والحرارة وغيرهما، فيتمكن من تعجيل الانتاج مئات البلايين من المرات . فيقوم أولاً بتحويل المواد الهيدروكربونية النباتية الى منتجات تشبه القار أو القير الطبيعي، ثم يواصل العمل إما بطريقة التقطير المتلف (ومداره تسخين المواد المقصودة دون ملامستها للهواء تسخيناً يفضي الى انحلال أغلب الأجسام العضوية انحلالاً مقترناً إذ تتولد طائفة من أجسام جديدة وذلك باعادة تنسيق الذرات بتأثير الحرارة) وإما باخراج الاوكسجين وإما بمزجه بالهدروجين فيحصل على مادة تشبه الأسفلت والزيت الخام الطبيعي . ومن هذه يسهل استخراج المواد الهيدروكربونية الدنيئة الرتبة مثل البنزين والكيروسين . والبنزين الذي يستخرج بهذه الوسيلة يفوق النوع الذي يحوي كثيراً من المواد المانعة لدويّ السيارات .

مقابلة النفقات

والزيت الذي يستخرجه الدكتور برل بطريقته المتقدم وصفها أثمن من الزيت الطبيعي الخام . ولكن ينتظر أن تنعكس الآية في المستقبل وذلك حينما يفرغ الزيت الطبيعي الموجود تحت سطح الأرض، فترتفع أسعاره ارتفاعاً فادحاً .

وحين يستطيع برل إنتاج مقادير كبيرة من زيته الصناعي، تنخفض أثمانه انخفاضاً نسبيًّا . وجدير بنا أن نذكر أن البنزين الصناعي يتيسر إنتاجه بنصف النفقات التي تنفقها ألمانية الآن في تحويل الفحم الحجري الى غاز يحل محله .

الاصل بحث مذهب علمي

ويرجع اختراع طريقة برل هذه الخاصة بتحويل المواد النباتية الى الزمن الذي عقب الحرب العالمية الأولى حينما كان هذا المخترع أستاذاً للكيمياء الصناعية والكيمياء الكهربية في الجامعة الصناعية الفنية في دارمستاد في ألمانية حيث وقع حينئذٍ في حيص بيص لأنهُ كان مفروضاً عليه باعتباره أستاذاً في ذينك العلمين أن يدرّس مذهباً علميًّا لم يكن هو يعتقد صحتهُ . ونعني به (أن الزيت المعدني بأجمعه قد تولد من السمك) وكان التعليل المعروف في ذلك العهد أنهُ في غضون دهر من دهور تاريخ نشوء العالم ، وقعت كوارث عالمية معروفة فأهلكت رِبوات من السمك (الربوة هنا بكسر الراء هي الجماعة العظيمة نحو عشرة آلاف ، وجمعها ربىً بكسر الراء وتنوين الألف المقصورة) ثم تحولت هاتيك الأسماك بعد ردح من الزمن إلى زيوت معدنية . وكان الدكتور برل لا يصدق ذلك التعليل بل يحسبهُ هُراء ، فكان يحتج على هـذا الرأي بدليل وجود آبار للزيت المعدني في بلاد المكسيك وفي ولاية تكساس (إحدى الولايات المؤلفة لجمهورية أميركة الكبرى) حيث يوجد الزيت المعدني في اثنتين وعشرين طبقة مختلفة من طبقات الأراضي . وهذا يعني أن الكارثة التي أشار إليها العلماء القدماء كانت عامة فتكررت بنفسها ٢٢ مرة . وهذا أمر غير معقول . فلم يقر الدكتور برل قائليهِ عليه بل خالفهم فيه كل المخالفة ونقض رأيهم في منشأ الفحم الحجري القائل بأنهُ مواد من هياكل أشجار عتيقة . فنفى ذلك الاعتقاد القديم في سنة ١٩٢٦ إذ قام بتجربة علمية مشهورة وذلك في معهد مباحثه . فهدم بها ذينك المذهبين هدماً حاسماً . وتفصيل الخبر أنهُ دخل معمله الكيميائي يقلّ علبة من الورق القوّى ملآى بغلاف الذرة وغيره من الأعشاب ، فلم يلبث حتى خرج من المعمل ظافراً بدلو مُفعمة بالفحم الحجري القاريّ ، فجعل يضيف مقادير قليلة من القلي إلى ذلك الفحم النيء حتى حوّلهُ إلى فحم كوك . ثم عاد فغيَّر تلك المواد القلوية فاستطاع إنتاج القار والأسفلت والزيت الخام والبنزين والكيروسين أيضاً .

لا حاجة إلى الأنابيب

ويثق بعض الخبراء بأن طريقة برل هذه التي تقضي بتحويل قمامات الحقول في مواضعها إلى وقود . ستقضي على ضرورة مدّ الأنابيب من قطر إلى آخر أو من قارة إلى جارتها ، وتجعل كل فلاّح وحطَّاب (قاطع لقرم الأشجار) منتجاً للزيت المعدني . وعلى هذا الغرار يمكن تحويل الحاصلات الزراعية التي لا يجني منها أربابها أرباحاً تذكر ، إلى موارد كسب ثابتة تدر عليهم النضار . إذ يسهل تحويل الشجيرات النفاشية « التي

وقف نموها » في الغابات ، وسيقان الذرة وغلاف كيزانها وما شاكلها من مهملات الحقول بأسرها ، إلى المواد الهيدروكربونية التي نحن في أمس حاجة اليها . وربما تؤول طريقة برل إلى إمكان تحويل القمامات التي تجمع من المدن إلى مواد نافعة لأنها حافلة بمخاليط تجزل فيها المواد الهيدروكربونية التي نخسرها حينما نعمد إلى إحراق القمامات بحسبانها مواد مضرة بالصحة العامة.(*)

عوض جندي

فول الصوية

أحدث ما عرف عنهُ

بين النباتات الغريبـة المهمة في الغذاء والتي زرعت في مصر بين سنتي ١٨٧٠ — ١٨٨٠ فول الصوية (١) وموطنه الصين واليابان حيث زرع من قديم الزمن حاصلاً غذائيًّا للانسان والماشية كما يزرع في شرق البنغال والهند الصينية وغيرهما . وهو عشب سنوي قائم يتردد ارتفاعه بين قدمين وثلاث أقدام بحسب صنفه وتربة الأرض المزروع فيها وقد يبلغ من الارتفاع أربع أقدام إلى ستّ أو يزيد .

وفلاحته سهلة . يجود في الأقاليم الموالية للحارّة التي يهطل فيها المطر باعتدال وتكون تربتها خصبة مفككة هيّنة الحرث . فتبذر البزور بذراً ضيّقاً في صفوف متباعد بعضها عن بعض قدر قدم وبين البزرة والأخرى قدمان أو تبذر بذراً أوسع بحسب الصنف المراد زرعه . ومقدار البذار « التقاوي » نحو ٢٠ رطلاً للفدان . فلا تلبث البزور أن تنبت بسرعة ويكون الحاصل صالحاً للجني بعـد ثلاثة أشهر من وقت الزرع . وهو يختلف بحسب الصنف وتربة الأرض والأقليم وغير ذلك لـكنه يبلغ في المتوسط ١٠٠٠ رطل من الفدان . وقد تزرع الأصناف الطوال علفاً أخضر للماشية فيحصل على سبعة أطنان أو ثمانية من الفدان .

وتشتمل القرنة من القرنات القصار المزغّبـة على ثلاث بزرات أو أربع . وهذه البزور طعام مغذٍّ ومقياس للغذاء في موطن النبات ، إذ تلي الأرزّ في الاعتبار . وهي ملساء تشبه بزور البسلّـة ويختلف لونها بحسب الصنف من الأسمر إلى الأسود إلى الأصفر إلى الأخضر . وتطهى وتعدّ طعاماً

(١) اسمـه العلمي Glycine hispida وبالانجليزية Soy or Soya-bean وبالفرنسية Soja من الفصيلة القرنية

(*) نقترح على القراء أن تكون مطالعة هذه الحقائق والاتجاهات العلميـة مقترنة بمطالعة المقالة الأولى في هذا الجزء من المقتطف ، فهذه تكمل تلك .

بطرق كثيرة فقد تغلى أو تشوى أو تطحن دقيقاً . وهاك تحليلها الكيميائي نقلاً عن الأستاذ ا.ه. تشرتش «حبوب الغذاء بالهند» ماء : ١١ ٪ — مواد زلالية أو پرتيدات (مكونات للحم) : ٣ و ٣٥ ٪ — مواد كربوهيدراتية (نشا وسكر وغيرها) : ٢٦ ٪ — زيت أو دهن : ٩ و١٨ ٪ — ليف أوخلوز سلبلوز : ٢و٤ ٪ — رماد : ٦ و ٤ ٪

وبما أن هذه البزور تشتمل على نشا قليل أو لا تشتمل عليه أصلاً فهي تعمل كعكاً يابساً « بقسماطاً » أو خبزاً للمرضى بالبول السكريّ . وقيل إنها تستعمل أحياناً لغش القهوة . ويستخلص منها دهن قيّم يدخل في الزبد الصناعي « المرغرين » أو في صناعة الصابون وغيرهما . أمّا الكُسْب المتخلّف فيعمل أقراصاً تعطى علفاً مغذّياً للماشية .

وغالب ما تصدَّر البزور من منشوريا وبالأخص لاستخلاص الدهن فتأخذ لندن وحدها ما يزيد عن مليون طن في السنة قدَّروا ثمن الطن منها قبل الحرب بمبلغ ١٢ — ١٥ جنيهاً إنجليزيًّا . هذا وقد يعمل من البزور نوع من الحساء يعرف باسم « حساء الصوية »

محمود مصطفى الدمياطي

انتهاج أسلوب واحد في كتابة الاسماء العربية بالانجليزية

وجه الميجور وليم أستُر عضو البرلمان البريطاني ورئيس لجنة شؤون الشرق الاوسط المتفرعة من لجنة الشؤون الامبراطورية في حزب المحافظين البريطاني سؤالاً في مجلس النواب البريطاني في شأن انتهاج أسلوب واحد لكتابة الأسماء العربية المستعملة في بريطانية باللغة الانجليزية .

وقد سأل الميجور استُر وزير الخارجية هل بلغهُ أن السلطات البريطانية المختصة في الشرق الاوسط استخدمت طريقة واحدة لهجاء الاسماء العربية وأن وزارة الخارجية وغيرها من المصالح البريطانية تستخدم أساليب شتي. وكذلك سئل الوزير : هل يرى اقتباس الأسلوب الشائع في الشرق الأوسط واستخدامه في لندن ؟

وقد أفضى الميجور استُر الذي قضى في القوات البريطانية في الشرق الأوسط ثلاثة أعوام ونصف عام منذ سنة ١٩٣٩ بحديث الى وكالة الأنباء العربية قال فيه: « إن الجنرال ويفل استخدم طريقة واحدة لهجاء الكلمات العربية دلّت على نجاحها في الشرق الأوسط ، ولكني وجدت المصالح الحكومية المختلفة في لندن تستخدم أساليب متعددة في هذا الشأن . وكثيراً ما يؤدي هذا إلى التأخر في الوصول إلى التفاهم وعلى الرغم من بساطة هذا الموضوع فانني أعدّهُ هامًّا جليل الشأن».

مستقبل النقل الجوي بين نيويورك والقاهرة

أبرق مراسل حربي أميركي الى نيويورك يقول: «إن ازدياد حركة النقل الجوي للبضائع والركاب بين القاهرة ونيويورك قد قصر أمد الرحلة الجوية بينهما الى ٣٨ ساعة فقط» ثم قال: «ولا يزال الطريق الجوي القديم إلى الشرق الأقصى عبر شمال إفريقية ومصر هو الطريق العادي المألوف. وكان السائد فيما مضى أن يطير المرء أياماً من نيويورك الى ميامي ثم تحمله الطائرة الى ناتال عبر المحيط الأطلمي الجنوبي وتذهب بعد ذلك الى الدار البيضاء ثم تعبر جبال أطلس بمحاذاة ساحل البحر المتوسط الى الجزائر ومنها تنطلق الى القاهرة في رحلة تستمر ثماني ساعات».

«أما اليوم وقد ازداد عدد طائرات النقل التابعة للجيش الأميركي التي تهبط الى المطار الجديد المنشأ أخيراً في عرض الصحراء فان الطائرات الأميركية تعمد الى اختصار الرحلة من نيويورك مقتصرة على التوقف في جزر آزور، والدار البيضاء، والجزائر، ثم تصل الى القاهرة في مدة تقل عن يوم ونصف يوم منذ ساعة قيامها من نيويورك

«وهذا المطار الجديد حقيق بأن يستوقف أنظار معظم الأميركيين المعنيين بشؤون النقل الجوي. وهو يعرف باسم «مطار باين» نسبة الى الليفتنانت كولونيل «جون باين» الذي قتل في غضون معركة جوية دارت رحاها في العام الماضي فوق أراضي العدو.

«وقد افتتح هذا المطار منذ سنة أو أقل قليلا. وصار بعد هذه المدة القصيرة منافساً او فائقاً على طائفة من المطارات الكبيرة مثل مطار اطلنطا بولاية جورجيا، ومطار دلاّس بولاية تكساس، ومطار «سولت ليك سيتي» في يوتاه، ومطار دنفر في كولورادو. بل بزّ تلك المطارات جميعاً في حجمه واتساع مؤسساته، وهو يكاد يناهز اليوم حجم مطار لاجوارديا بمدينة نيويورك.

«ولقد بدأ مطار «باين» نشاطه في أغسطس من العام المنصرم، بعد أن تم إنشاؤه في شهرين اثنين. واستمرّت الاعمال الانشائية فيه بعد ذلك على نحو أسرع وأحكم الى أن أصبح معسكراً حربيّاً كبيراً».

هل تعلم؟

* أن استهلاك البنزين في الدنمارك لم يزد في سنة ١٩٤٣ على واحد في المائة من استهلاكه قبل الحرب.

* أن المباحث النفسية في جامعة كاليفورنية تدلُّ على أن ذا الفكر البطيء ليس ضعيف العقل حتماً.

فهرس الجزء الثالث

من المجلد الخامس بعد المائة

١٩٧ العقل مناط الأمل : لفؤاد صروف
٢٠٤ هل الشام إلى السفور ؟ لبشر فارس
٢١٠ إصلاح التربية في المدارس المصرية : لعبد الله أمين
٢١٥ ديوان منسوب إلى المعري : لأسعد طلس
٢٢٩ الحمى الصفراء — هل هي موجودة في القطر المصري ؟ للدكتور عمر خيرت
٢٣٤ من مناهج التأليف في القرن الثالث الهجري : لمحمد عبد الغني حسن
٢٣٨ الرؤساء الثلاثة — ولسن محرر الشعوب : للدكتور نجيب الأرمنازي
٢٤٥ الدين والفلسفة — نتيجة البحث : لمحمد يوسف موسى
٢٤٩ عمر الخيام كما أعرفه — بعث الخيام إلى الشرق ، في مصر : لمحمود المنجوري
٢٥٣ الناصر في بلاد الروم والاسلام : لميخائيل عواد
٢٥٦ شيروود أندرسن : ترجمة للسيدة نلي ڤوشيه زنانيري
٢٥٩ رقصة (قصيدة) : لعدنان مردم بك

باب التعريف والتنقيب

٢٦٣ ١ — الفنون الرفيعة : « قلعة سمعان » بقلم داود صليبا
٢ — الكتب : « الف ليلة وليلة » تأليف سهير القلماوي . نقد بقلم وداد سكاكيني — « بنت الشيطان » تأليف محمود تيمور . نقد بقلم كامل محمود حبيب — « ثمار المقاصد في ذكر المساجد » ليوسف بن عبد الهادي وتحقيق محمد أسعد طلس . نقد بقلم احمد محمد شاكر — « معارك العرب في الشرق والغرب » تأليف بطرس البستاني . نقد بقلم محمد عبد الغني حسن — « ع الماشي » تأليف ابرهيم عبد القادر المازني . نقد بقلم حسن كامل الصيرفي — ثم كتب أخرى ظهرت
٣ — المجلات : « مجلة الحقوق » بقلم حامد زكي — « المشرق » بقلم *
٤ — الاستدراك : « القاموس العصري » بقلم الاب انستاس ماري الكرملي

٢٨٩ باب الأخبار العلمية * كيف ينتفع الاميركيون بالمخلفات الزراعية ؟ : لعوض جندي — فول الصوية : لمحمود مصطفى الدمياطي — انتهاج أسلوب واحد في كتابة الاسماء العربية وبالانجليزية — مستقبل النقل الجوي بين نيويورك والقاهرة — هل تعلم ؟